نحو فهم صحيح للحقائق الإسلامية

الدَّاءُ العُضَال

أسبابه وأعراضه وطرق الوقاية منه وطرق علاجه

كتبه
أبو عبد الله صادق بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أخي المسلم الكريم...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أما بعد:

فإن هناك سؤالًا كثيرًا ما يَرِدُ على الأذهان، ويُلح علينا أن نجيب عليه ؛ لِشدة أهميته، وللحاجة المُلِحَّةِ لمعرفة الإجابة عليه.

ألا وهو، لماذا لا يستجيب أكثر الناس إلى داعي الحق والإيمان؟ ولماذا لا يتأثر كثير من الناس بالمواعظ، والذكرى على اختلاف أساليبها، وأنواعها؟ ولماذا ترى الإنسان أحيانًا ينظر إليك، وهو ليس معك؛ فأنت في واد، وهو في واد آخر؟ ولماذا نقرأ القرآن، والأحاديث، ولا نستفيد منها، ولا نتعظ، ولا نرتدع بما فيها من الآيات، والذكر الحكيم، وبما فيها من الحكمة، والموعظة الحسنة ؟

ولماذا تمر علينا في كل يوم كثير من الأحداث العظام؛ ليل ونهار، سماء ذات أسرار، أرض ذات بحار وأنهار، برارٍ وقفار، الأموات والأحياء، المرضى والأصحاء ، إلى غير ذلك من الأحداث الكبار، التي نمر عليها ، وتمر علينا، ولا نتأثر بها، ولا نكترث لها؟.

والمُجِدُّ منا من يهز الرأس، وتمر الأحداث.

إن الجواب عن هذه التساؤلات كلها يكمن في معرفة مرض خطير قد استشرى في الناس، واستطار شرره، والعياذ بالله منه. مرض لو أصاب الإنسان، وهو في مجال عمله، لربما تسبب في فصله عن العمل، أو توبيخه، والخصم من راتبه.

ولو أصاب الإنسان، وهو يقود سيارته ؛ لكان سببًا ـ في الغالب ـ لوقوع الحوادث، وإزهاق الأرواح، إن قدر الله ذلك، فكيف يكون الحال لو أُصيب الإنسان بهذا المرض في أهم عضو في جسده ألا وهو القلب؟ وكيف يكون الحال لو أُصيب الإنسان به في أهم شيء في حياته ألا وهو الدين، والإيمان ؟



إنه المرض الخطير، والداء العضال، ذلك هو:

مرض الغفلة

التعريف بالمرض:

هو انعدام للإحساس، واختلال في الشعور، يصيب حواس الإنسان، وجوارحه؛ فيعطله عن حقيقة وظيفته. فهو يعتبر ـ بحق ـ من أخطر الأمراض التي تصيب قلب الإنسان في هذه الحياة الدنيا ؛ فيعميه، ويطبع عليه، وهو اليوم من الأمراض المستعصية، والمنتشرة بين الناس إلا من رحـم الله وقليل ما هم. والواقع ينبئ أنه كثير في واقع الناس، اليوم، وقد أخبر ربنا ـ جل وعلا ـ وتقدس في محكم التنزيل عن ذلك فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ سورة يونس الآية ٩٢. وقال، جل في علاه:﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُم يَلْعَبُونَ ۞ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُم تُبصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى:﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ سورة يس الآية ٣٠.

والواقع المعايش يبين أن الناس مع هذا المرض كل بحسبه؛فمنهم من استحكمت غفلته؛ فطبع الله على قلبه، والعياذ بالله، ومنهم من غفل في جانب دون جانب.

وبهذا يعلم أن هذا المرض الخطير لا يختص بطائفة معينة من الناس، أو جنس معين منهم، بل قد يكون في أوساط المتعلمين، أو المُعَـلمِين، أو الخاصة، أو العامة، أو العلماء، أو الجهلاء. ذكورًا، وإناثًا، شيبًا، وشبابًا. إلا من كتب الله له السلامة من هذا المرض؛ فَشَمَّر عن ساعد الجد، وبَذَل الجهد في دفعه عنه؛ حتى تحصل له السلامة بإذن الله، عز وجل. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، نسأل الله من فضله العظيم.



الأعــراض

إن الأمراض عادة، وقبل أن تستفحل بصاحبها؛ تظهر عليه أعراض تدل عليه، وتنبئ عنه بإذن الله، عز وجل. وهذا من رحمة الله، عز وجل ؛ حيث يتمكن الإنسان إذا رأى هذه الأعراض أن يبادر إلى العلاج، والوقاية منه قبل استفحاله، وانتشاره في سائر الجسد. ولا شك أن لهذا المرض الخطير أعراضًا. أسوق إليك ـ أخي المسلم ـ جملة منها:-

أولاً: عدم الصبر على النصيحة:

فتراه يتبرم كثيرًا، وقد يغضب على الناصحين.

وهذا مؤشر خطير؛ حيث أن المصاب بدأ يشعر بأنه كامل، وأن ما هو فيه هو أحسن ما يمكن تصوره، وأفضل ما يكون، وهذا بداية النهاية، وهو المنزلق الخطير، الذي منه يُـحَسِّنُ الشيطان للإنسان سوء عمله، ثم يصده بذلك عن الحق، ثم يصبح غافلًا عدوًّا لله ـ عز وجل ـ عياذًا بالله من ذلك. ثم فيما بعد ولدى استفحال الداء يصير عدوًّا للناصحين مبغضًا لهم وذلك من جراء غلبة الهوى عليه. كما قال ـ تعالى ـ عن حال نبيه صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع قومه عندما حانت، وقربت لحظة العذاب، والدمار، والهلاك لقومه قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُم رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾. الأعراف (٧٩).

فالذي لا يصبر على النصيحة خاسر هالك، إلا من رحم الله ، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْـحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. سورة العصر.

ثانيًا: قلة ذكر الله عز وجل:

فيبدأ القلب في الصدأ، والقسوة، وهذا طريق عمى القلب، وغفلته، والطبع عليه، عياذًا بالله من ذلك. ومع مرور الوقت يتسلط عليه عدوه وينسيه ذكر ربه ؛ فيـُنسِيه الله نفسه، فلا يُـقبِل على ما يصلحها ويزكيها ويرفع شأنها ؛ فيُحيط به عدوه اللدود الشيطان الرجيم أعاذنا الله وإياكم منه ؛ ثم يــُـرْدِيه، والعياذ بالله من ذلك.

كما قال ـ تعالى ـ عن صفات المنافقين:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلا قَلِيلاً﴾. النساء (١٤٢).

وقال ﷺ:**«مثل الذي يذكر الله، والذي لا يذكره كمثل الحي، والميت»**(١).

ثالثًا: التهاون بأمر الفتن، والتقليل من خطرها، وشأنها، واستصغارها.

وهذا ـ والعياذ بالله ـ بداية إشراب القلب للفتن، وهذا أمر خطير للغاية لأنه إن لم يتدارك الأمر، ويبادر بالمعالجة، والوقاية ؛ وإلا استشرت الفتن في قلبه ؛ حتى يسود القلب، وينكس، والعياذ بالله ؛ حتى يصبح لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه.

كما أخرج مسلم في «صحيحه» من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ قال:قال النبي ـ ﷺ ـ :**«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» ـ عياذًا بالله ـ من ذلك.

رابعًا: الحرص على الدنيا، والتنافس فيها مع عدم محاسبة النفس، ومراقبتها.

وهذا هو عين ما خافه النبي ﷺ علينا فقال:«**فو الله مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ. وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا. وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْـهُم**»[(١)] .

ولذلك ترى أكثر الناس اليوم منهمكين في الجري الشديد وراء البطن، والفرج، والخوف على الأرزاق.

ومع أن الناس يعلمون أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ؛ إلا أن اليقين بذلك قليل، والواقع ينبئ عن جهل عظيم، وخلل واضح في هذه الحيثية، والجزئية بالذات ؛ فتجد العبد يترك الصلاة بحجة العمل، وطلب الرزق، وينسى كثيرًا من أعماله الأخروية بسبب ذلك.

ولربما والى أعداء الله تعالى من الكافرين، والمشركين، والمنافقين؛ بل قد تستحكم غفلته فيقاتل المسلمين تحت راية الكافرين، مظاهرًا ومناصرًا للكافرين على المسلمين فيقع في الكفر الأكبر بإجماع المسلمين.

ولعله أن يُـحضر الكفار إلى بلاد المسلمين، وإلى جزيرة العرب بالذات؛ لكي يعملوا عنده؛ حتى لا ينقصوا من عمله بكثرة الصلاة، والصيام، وهو يظن بذلك أنه يحسن صنعًا.

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم من حديث عمرو بن عوف الأنصاري .

خاصة إذا كان شغوفًا بالغرب الكافر، الذي يرى أن الدين هو أفيون الشعوب، وأنه سر التخلف، والرجعية.

وهذه حقيقة يعتقدها الكفار اليوم، ويَـدْعُونَ الناس إلى العمل بمقتضاها عبر ما يسمونه بالعلمانية، أو القومية، أو الوطنية وما هذه الشعارات إلا صورة من صور الكفر الصراح، والشرك البواح.

وهذا بالنسبة لهم واقع عاشوه ؛ ذلك لأن الدين الذي بين أيديهم اليوم دين محرف، ومبدل. قد لويت الألسنة به ؛ فصار القائمون عليه يحرصون على محاربة العلم وأهله، ويقفون حجر عثرة أمام انتشاره؛ ليبقى الناس يرزحون تحت نير الجهل، والضلال.

فصار الناس يعيشون بين ظلام الجهل، وقسوة وقهر الظلم؛ فثاروا على ذلك الدين الذي لا يرى للإنسان، وفكره وزنًا، بل يراه عبدًا للقساوسة والبطارقة، وعِلْيَةِ القوم، وكبرائهم.

وإذا كان هذا هو الحال ؛ فلا شك أن هذا الدين المحرف سيقف حجر عثرة أمام تحرر الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد؛ ولابد لمثل هذا الدين أن يضمحل، ويزول، وأن تسقط أوراقه، ومقترحاته؛ حتى ظن الغرب الكافر أن الدين هو سر تخلفه، ورجعيته، وسبب عيشه في عصور أسماها أهل التأريخ بـ: «العصور المظلمة»، وهو كذلك ؛ لأن ذلك الدين الذي يتعاملون معه ليس هو الدين الحق؛ ولهذا لم يكن ليخدم قضية الإنسان، بل يهدم إنسانيته في كثير من جوانبه ؛ ولذلك لَفَظَ الغربُ الدينَ جملة وتفصيلاً، وتحولوا إلى مجرد آلات تعمل ؛ لتأكل وتشرب، وحيوانات تقاتل ؛ لتبقى وتعيش ؛ فصارت الروح مهملة محطمة؛ فأسعدوا الجسد على حساب الروح؛ فكانت النتيجة هي القلق، والمعيشة الضنك التي نهايتها

غالبًا الانتحار، والمحاولات الجادة للقضاء على الحياة، وهذه هي سنة الله تعالى في كل من أعرض عن شرعه واتبع هواه وشهواته وارتمى في أحضان أعدائه؛ من شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾. طه (١٢٤-١٢٦).

ولكن عندما توجه هذه النظرة إلى الإسلام ؛ فإن ذلك يكون ظلمًا عظيمًا ؛ ذلك لأن الإسلام هو دين الكرامة والعزة، دين العلم والنور، دين يبصر الإنسان بحقيقته، ويربطه بخالقه، ويبين له حقيقة وظيفته، ومصيره، ومآله.

دين يضمن للإنسان: الأمن، والأمان، والطمأنينة، والحياة الطيبة، في الدنيا والدار الآخرة؛ فيشعر الإنسان بالسعادة الحقيقية، كلما اقترب من هذا الدين، وكلما طبق تعاليمه، وبذلك يكون من المفلحين، وكلما ابتعد عن هذا الدين كان من الغافلين.

ولذلك عندما يشعر الإنسان أن التزامه بالدين يؤثر على رزقه، أو على مجريات عمله ؛ تقع الغفلة، وتكون النكبة، وتقل البركات، وتحل البلايا، والنقم من الله ـ عز وجل؛ فيرتكب الحرام من أجل عمله، ويتخلى عن مبادئه، ويتنازل عن كثير من الأمور التي يعلم حرمتها في دين الله ـ عز وجل ـ من أجل الرزق، وكأنه هو الذي يرزق نفسه!

ولعله صرف قدرًا كبيرًا من صلاته وهو يفكر في عمله، ومجرياته، ولا ينتبه إلا والإمام قد سلم، أو قبيل ذلك بقليل. وإن كان ذلك في الفرائض، فحدث بذلك في النوافل ولا حرج.

فهل نسي الإنسان أن الرزق مقسوم، والأجل محتوم، وأنه لن تموت

نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها؟! ولكن أين اليقين؟! أين اليقين؟! نسأل الله اليقين والعافية!

قال تعالى:﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۞ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۞ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾. الحجر (١٩-٢١).

وقد أفصح النبي ﷺ عن حال الإنسان، ورزقه، وأجله، وعمله، وحاله، ومآله، وهو في بطن أمه فعن عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ:«**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الـجَنَّةِ**». متفق عليه.

خامسًا: المجاملة على حساب دين الله عز وجل:

فتراه يخالط أصحاب المعاصي، والمنكرات، وإن كان هو من أهل الصلاح والخير، وربما غره شيطانه بقوله: ما دمت أنك من أهل الصلاح ؛ فلا خطر عليك منهم ؛ فيأمن من مكر الله، ويزكي نفسه، والعياذ بالله من ذلك، قال تعالى:﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ الله فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف(٩٩). فهو يجالسهم، ولا ينكر عليهم، ولا يأمرهم بالمعروف؛ فيتعرض بذلك لسخط الله تعالى، ويشرب قلبه المنكر؛ فلا يحس به ؛فيضعف

الإيمان في قلبه، ويبدأ في البعد عن ربه فإن كثرة الإمساس تفقد الإحساس.

وهذا هو طريق الغفلة، كما قال تعالى:﴿لُعِنَ الَّذِين كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾. المائدة (٧٨-٧٩).

وقال سبحانه وتعالى محذرًا من هذا الخلق الذميم، وموجهًا عباده إلى الحالة السوية حال وقوع المنكرات، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّك الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. الأنعام (٦٨).

سادسًا: تصور أن في الحياة وقتًا لله، ووقتًا لغير الله:

فتراه يردد المقولة المشهورة الخاطئة: **(ساعة لربك، وساعة لقلبك)**، **وقول أحدهم: (أنا حر).**[١] وهذا خلل عظيم في القلب إن لم يتداركه صاحبه ؛ وإلا غفل قلبه، فإن للباطل دعاته، وللحق دعاته.

وهو بذلك يصرف جزءًا من حياته لغير ربه ؛ فتقع الغفلة في قلبه؛ مما يقوده إلى غفلة أكبر ؛ فيصرف حياته كلها إلى إرضاء هواه، وشهواته، والعياذ بالله من ذلك، كما قال تعالى عن قوم شعيب:﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيد﴾. هود (٧٨)

فظنوا لغفلتهم، وجهلهم بعبادة ربهم أنه لا بأس من عبادة الله، وعبادة غيره معه، وأن المال ليس لله فيه أمر ولا نهي، وهذا كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُون بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ

---

(١) راجع كتابي «الإنسان والأمانة الكبرى» لمزيد من التعرف على خطورة هذه المقالة، وأبعادها .

إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَاب وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. البقرة (٨٥).

سابعًا: التقاعس عن الصلوات المكتوبة، والتهاون في أمرها، وعدم التبكير إليها:

وبما أن الصلاة هي الصلة بين العبد وربه، وهي عمود هذا الدين؛ فالـمُـعَوَّل عليها إذن، وكما هو معلوم أن قوة الخيمة إنما تكون بقوة عمودها، فإن كان العمود هزيلًا، أومنحنيًا، أو مشقَّقًا ؛ فإن الخيمة تكون كذلك، وإن لم يتداركها صاحبها بالإصلاح، والتقويم؛ فإن العوامل الأخرى لن تزال بها حتى تسقطها، أو تزيدها ضعفًا؛ حتى تصبح لا تغني، ولا تسمن من جوع؛ كما قال ﷺ:«**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ**»[1].

فالعبد إذا تهاون بها بدأ يتأخر عنها، ثم يقوده ذلك إلى ترك الجماعة، ثم يكثر ذلك منه، وهذه كلها مؤشرات خطيرة، ومنحدر ومزلق ظاهر نحو الغفلة، واستحكامها، والعياذ بالله من ذلك.

ولذلك كان عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله، فيقول: (إن أهم أمركم

(١) أخرجه الإمام أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والترمذي وابن ماجة والحاكم والطبراني في الكبير وغيرهم كلهم من حديث معاذ بن جبل ﷺ وفي إسناده مقال لبعض أهل العلم للانقطاع بين أبي وائل وحذيفة ولكن ليس كل منقطع ضعيفا؛ ولهذا قال أبو عيسى الترمذي عقب تخريجه لهذا الخبر من هذه الطريق :(هذا حديث حسن صحيح). وقد جاء من طريق أخرى لكن فيها شهر بن حوشب مضطرب الحديث، وفي طريق أخرى عن عروة بن النزال أو النزال بن عروة وفيه كلام عند أهل العلم، ومن طريق ميمون بن أبي شبيب وفيه مقال أيضا.

عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها، حفظ دينه، ومن ضيعها، فهو لما سواها أضيع ـ إلى أن قال: فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام؛ فلا نامت عينه، فمن نام؛ فلا نامت عينه، والصبح، والنجوم بادية مشتبكة)[١].

ثامنًا: عدم محاسبة النفس، ومراقبتها كل حين:

فمن وجد من نفسه ذلك ؛ فليعلم أنه على مشارف الغفلة ؛ لأن الإنسان بطبعه ينسى، ويخطئ، وإن لم يتدارك نفسه ويحاسبها ؛ فيستغفر ويتوب إلى الله عز وجل ؛ وإلا قاده ذلك إلى الغفلة والهلاك، خاصة إذا قل من حوله الناصحون، وكثر من حوله المجاملون، والمنافقون، والذين يهتمون بدنياه، ولا يهتمون بدينه؛ ولذلك كان السلف يقولون: **(حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم)** [٢].والمحاسبة هي هدي عباد الله المؤمنين بخلاف المنافقين الذين لا يكترثون لأعمالهم في أي واد هلكت، والعياذ بالله!

ولهذا قال الله آمرًا عباده بمراجعة النفس ومحاسبتها، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. الحشر (١٨-١٩).

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» كتاب: وقوت، الصلاة باب/ وقوت الصلاة، من رواية نافع عن عمر، وفيه انقطاع . وهو متلقى بالقبول عند الأئمة. قال أبو عمر ابن عبد البر في الاستذكار (١ / ٤٨):(هكذا روى مالك عن نافع أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله. ورواه عبيد الله بن عمر عن نافع عن صفية بنت أبي عبيد أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله فذكر مثله بمعناه).ا.هـ.

(٢) اشتهرت هذه المقولة عن عمر ﷺ ، ولكن لم أجد لها أصلًا صحيحا يُستند إليه في ذلك!. وقد جاءت من طرق لا تخلوا من ضعف. كما عند أحمد والترمذي والزهد لابن المبارك.

تاسعًا: كثرة الضحك، والمزاح المفرط؛ حتى يصبح سمة بارزة للشخص يعرف بها:

فهذا من أبين أعراض الغافلين، فتراه كثير الضحك، كثير المزاح، حريصًا على أن يُضحِك الآخرين؛ حتى ولو أدى به ذلك إلى أن يكـذب في سبيل ذلك ؛ فينطبق عليه حديث أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وحديث بَهْز بنِ حَكِيم عن أبيه عن جده قال: «سَمِعْتُ النَّبِيّ ﷺ يقولُ:«**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ؛ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**». أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في «الكبرى».

وكما قيل: (إن كثرة الضحك تميت القلب)

أما إذا كان الضحك، والمزاح بقدر معتدل ؛ فلا بأس بذلك، فالنبي ﷺ، وأصحابه كانوا يضحكون، ويمزحون، إلا أنهم لا يقولون إلا حقًّا، ومع ذلك فالإيمان في قلوبهم أمثال الجبال.

وأما أن يكون ذلك هو هم الإنسان، ومنوال حياته ؛ فهذا هو المذموم، نسأل الله العافية والسلامة من أن نكون من الذين يُضْحِكُونَ الناس في هذه الحياة الدنيا، ثم من الباكين، حسرة وندامة يوم القيامة ـ عياذًا بالله من ذلك.

عاشرًا: كثرة التمني، والتسويف في شأن التوبة والعمل الصالح:

بينما تراه مبادرًا في أمور الدنيا، ومصالحها، والأمر كما قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾ الروم (٧).

فتراه متكاسلًا متباطئًا، يجر قدميه إذا كان في أمر من أمور الآخرة، نشيطًا مقبلًا في أمور الدنيا ـ والعياذ بالله ـ قد غرته الأماني، وغره بالله الغرور، وكما قيل: (**سوف: جند من جند إبليس**) ـ أعاذنا الله منه ـ يقول: غدًا سوف أتوب، غدًا سوف أصلي، غدًا سوف أسلك الصراط المستقيم، وهكذا يركب بحر الأماني المزيفة المزخرفة ؛ حتى يفاجئه هادم اللذات، ومفرق الجماعات ؛ فساعتها يقول كما أخبر الله ـ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَب ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۞ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ۞قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. الحجر (٩٩-١١١).

فانظر إلى الأماني كيف تخذل أصحابها، وتوبقهم، وتهلكهم من حيث لا يشعرون قال تعالى:﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْث لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين﴾. القلم (٤٤-٤٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى:[أي وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال ـ تعالى:﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُون﴾ المؤمنون (٥٥-٥٦)]ا.هـ.

وفي الصحيحين عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله لَيُملي للظالم؛ حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَه أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾». هود (١٠٢).

الحادي عشر: الاغترار بالأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان:

فإذا كلمته عن معاصيه، وزلاته ؛ قال لك بملء فيه: أنا خير من غيري ! وإذا قلت له: اتق الله، قال لك: وهل تراني كافرًا ؟ !.

ويظن هذا المسكين أن التقوى لا يؤمر بها إلا الكفار ! كيف والله ـ عز وجل ـ يقول لنبيه الكريم، ولأمته من بعده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ الله وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الأحزاب (١).

بل وأمر الله بها جميع الناس، والمؤمنين أصالة في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَاب مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ الله﴾. النساء(١٣١).

والقرآن مليء بمثل ذلك، ومع هذا كله إذا وعظته، أو نصحته، أو وجهته ؛ قال لك: أنا أصلي، وأبر والدي، وأتصدق، أنا أحسن من غيري ؛ فيظن هذا المسكين أن كونه يفعل هذه الأشياء ؛ أن ذلك يبرر له أن يقترف السيئات، ويمارس الموبقات، والعياذ بالله من ذلك.

فتراه مغتابًا، أو كذابًا، أو نمامًا، أو مسبلًا لثيابه، أو متشبهًا بالكافرين في لباسه، وهيئته فيما هو من خصائصهم، وشعارهم؛ فتراه حالقًا للحيته، مختالًا في مشيته، ثم إذا كلمته، قال لك: أنا أعمل، وأعمل. وينسى أن من أعظم الأمور التي تحبط عمل العبد هو المن على الله بالأعمال الصالحة، والإدلاء بها على الله ـ تعالى ـ، وكأن الله ـ تبارك وتعالى ـ في حاجة إلى

أعماله، وصلاحه ؛ ولذلك قال الله تعالى عن مثل هذا الصنف من الناس: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. **الحجرات (١٧).**

وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي:**«يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ »**[1].

وقال ـ عز من قائل عليمًا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾. فصلت (٤٦).

وقال سبحانه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾. الروم (٤٤).

وقال سبحانه وتعالى مبينًا غناه عن خلقه، وفقر خلقه التام إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ۞وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ﴾. فاطر (١٤-١٦).

إذن فعليك أن تعلم ـ عبد الله ـ أنك عندما تؤدي الصلوات، وتفعل الطاعات؛ إنما تنقذ نفسك، وتفك رقبتك من نار؛ حرها شديد، وقعرها بعيد، طعام أهلها الزقوم، وشرابهم الصديد، ولست تعمل حتى تنفع الله بشيء تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فما خلق الخلق؛ ليتكثر بهم من قلة ؛

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﷺ.

ولا ليستعزَّ بهم من ضعف ؛ ولا ليغنى بهم من فقر.

بل هو ـ سبحانه ـ الغني عن كل شيء، ولا بد لكل شيء منه، وهو الغني الحميد، فلا تحبط أعمالك بالمن بها على الله، تعالى، واعلم أنك ـ عبد الله ـ يجب عليك أن تمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وليس لك أن تعمل ببعض الأعمال الصالحة ثم تجعلها وسيلة، وذريعة لارتكاب المعاصي، والمنكرات، والمخالفات الشرعية، بل عليك أن تعبد ربك، وأن تستجيب له جل وعلا، ولرسوله ﷺ، وتظل على ذلك حتى الموت.

كما قال تعالى:﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. الحجر (٩٨-٩٩).

الثاني عشر: التعالم، وادعاء معرفة كل شيء، مع كونه لا يفقه شيئًا من دين الله، أو لا يعرف إلا القليل من العلم:

وهذا من أبرز معالم الغفلة، وعلاماتها، ومن أقوى الأسباب المانعة من قبول الحق.

ذلك لأن هذا الإنسان يظن أنه قد أحاط بالعلم من أطرافه، وأنه لديه من العلم ما يكفي، ويغني، فإذا كلمه أحد، أو ناصحه في شيء ما، قال له: أنا أعلم منك بما تقول ! في حين أنك تراه يجهل كثيرًا من أصول الدين، ومقتضيات توحيد، وعبادة رب العالمين، ومع ذلك فهو لا يقبل من أحد نصحًا، ولا إرشادًا ؛ لأنه يظن أنه علَّامة زمانه، وأوحد عصره وأوانه. وما أن تكلمه حتى يبادرك بقوله: أعرف أعرف، أو يهز لك رأسه متشدقًا، ويتكلم بملء فيه متفيهقًا ؛ فلا نصح ينفع معه، ولا إرشاد يستجيب له عياذًا بالله من ذلك.

كيف ؟! والرسول ﷺ ـ وهو من هو ـ يأمره ربه ـ تبارك وتعالى ـ أن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. طه (١١٤).

ولذلك لما جاء رجل يسأل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عن مسألة؛ فأجابه الشافعي بحديث من أحاديث الرسول ﷺ، فقال له الرجل، وكأنه يريد أن يـــرُدَّ هذا الحديث ؛ لكونه لم يعلمه، ولم يسمع به فقال الرجل: لم أسمع بهذا الحديث من قبل !، فقال له الشافعي: وهل كل حديث رسول الله ـ ﷺ ـ سمعت؟ فقال الرجل: لا. فقال له الشافعي: إذن فاجعله من الجزء الذي لم تسمع.

ولذلك قالوا قديمًا لا يزال الرجل عالمًا، حتى يقول: لقد علمت واكتفيت ؛ فإذا قال ذلك، فقد جهل.

ولذلك قال الله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾. الإسراء (٨٥). وقال سبحانه:(فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ). غافر (٨٣)، وقال تعالى :﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. يوسف (٧٦).

إذن فعليك ـ عبد الله ـ أن تقبل النصح والإرشاد، وأن تعلم أنه مهما كان لديك من العلم ؛ فإن هناك من العلم ما لم تعلمه، وهناك من الخلق من هو أعلم منك ؛ فاقبل الحق المبين بالدليل مهما كان الناصح لك.

❁❁❁

أسباب الوقوع في هذا المرض

إنه، ولخطورة هذا المرض، وفداحته وعظيم ضرره على صاحبه ؛لابد له من أسباب تؤدي إليه وبمعرفتها يتسنى للإنسان الهروب من هذا المرض الجسيم، فإليك جملة منها:-

أولاً: سوء وخلل في تربية الفرد، وأساليب تعليمه منذ نعومة أظفاره:

وذلك بإعطائه صورة خاطئة، ومشوهة لحقيقة الإنسان، ووظيفته في هذه الحياة الدنيا ؛ مما يؤدي إلى طمس الفطرة الداعية إلى التوحيد، والتفكر، والتدبر.

وهذا من الأسباب الخارجية المؤثرة على الإنسان تأثيرًا مباشرًا، فهو متعلق بالوالدين، والمربين، وقد وضح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطورة هذا الأمر بقولـه:**«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**[1] .

ثانيًا: تواجد رفقاء السوء من حوله، والذين تربوا على شاكلته:

حيث يغمسونه في ما هم فيه من الاستهتار، والهوى، والشهوة، ويُحَسِّنُونَ له واقعه، ويُزَيِنُونَ له الباطل؛ حتى يراه حقًّا، والحسن قبيحًا ؛ مما يضعف، أو يعدم

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه .

البصيرة لديه، ويغمسه في الماديات؛ فيقطعه ذلك عن التفكر والتدبر ؛ فيصبح لا يهتم بمجريات الأحداث، ومهمات الأمور، والآيات العظام من حولـه، كما قال ـ جل من قائل عليمًا ـ عن حال الإنسان مع شياطين الإنس والجن: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ الله مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا الله كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِين تَؤُزُّهُمْ أَزّا﴾. مريم (٨٣).

{تَؤُزُّهُمْ أَزّا﴾ أي تقلقهم إلى المعصية إقلاقًا والعياذ بالله، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ مبينًا حالة الغافل مع قرينه السيىء فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُون أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞ حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَك بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الزخرف (٣٦-٣٩)، وقال سبحانه: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُم قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾. فصلت (٢٥).

ثالثًا: مطالعة أجهزة الفساد، وقراءة الكتب، والصحف، والقصص الهابطة، والخيالية:

التي تعرض الحياة بصورة شهوانية، مظلمة؛ أو بصورة حالمة ساحرة خادعة؛ مما يقطعه عن واقعه، والإحساس به، وينسيه حقيقة وجوده، وأهميته ؛ فيعيش عَالَمًا غير العالم، وواقعًا غير الواقع ؛ لأن الهوى يُعمِي ويُصِم، وذلك من مكر الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿والله يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُون الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ النساء (٢٧).

ولذلك حذر الله عز وجل من اتباع الهوى، وبين أنه سبب رئيس للضلال، وطمس القلب، والختم عليه ؛ فتكون الغفلة والعياذ بالله منها، فقال جل جلاله: ﴿ولا تَتَّبِعِ الْهَـوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّون عَن سَبِيلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ص (٢٦). وقال سبحانه: ﴿فَلاَ يَصُدَّنَّك عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ طه (١٦).

وقال سبحانه:﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ المائدة (٧٧).

وقال جل جلاله:﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِع أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية (١٨).

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ الله عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِه وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ الله أَفَلَا تَذَكَّرُون﴾ الجاثية (٢٣).

ولذلك نُـهينا أن نتبع أهواء المفتونين، وأمرنا أن نُباينَهم، ونُفَاصِلَهُم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله قُل لاَّ أَتَّبِع أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ الأنعام (٥٦).

وعن ابن عباس ﷺ قال:"إياكم والهوى، فإن الهوى يصم، ويعمي" أخرجه السجزي في «الإبانة».

وعن الشعبي وابن شبرمة قال: إنما سمي هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار.أخرجه ابن أبي حاتم.

وأنشد بعضهم:

إني بليت بخمسة يرمينني ... بالنبل قد نصبوا عليَّ شراكا

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... وأخو الضلالة قصده إغواكا

يا رب ساعدني بعفو إنني ... أصبحت لا أرجو لهن سواكا

وقال أبو الدرداء ﷺ:(إذا أصبح الرجل اجتمع هواه، وعمله، وعلمه ؛ فإن كان عمله تبعًا لهواه، فيومه يوم سوء؛ وإن كان عمله تبعًا لعلمه، فيومه يوم صالح)[1].

وقال الأصمعي: سمعت رجلًا يقول:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه فإذا هويت فقد لقيت هوانا

ولعبد الله بن المبارك:

ومن البلايا للبلاء علامة ألاَّ يرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

وقال آخر:

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كائنا من كانا

وقال وهب: إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما، فانظر أبعدهما من هواك فأته.

وللعلماء في ذم الهوى[2]، ومخالفته كتب كثيرة؛ وحسبك بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات (٤١).

---

١ - أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ج١ - ص ١٠٩)، وابن الجوزي في ذم الهوى (ج١ - ص٢٢). فيه فرج بن فضالة وفيه ضعف ووثقه أحمد في روايته عن الشاميين وقد روى هذا الأثر عن معاوية بن صالح وهو حمصي شامي عن أبي الدرداء ﷺ.

٢- راجع كتابي: «الهوى سر الهوان» فإنه نافع ومفيد في بابه.

رابعًا: الجهل بحقيقة الأعضاء التي ركبها الله تعالى في الإنسان؛ ليحقق بها عبادة الله، ووحدانيته سبحانه ؛ ليكون عبدًا عابدًا لله الواحد القهار. وهذا الجهل يقوده إلى استعمالها في غير ما خلقت له من طاعة الله، وعبادته ؛ فيعطلها عن وظيفتها ؛ فتكون الغفلة، عياذًا بالله منها.

ولقد وصف الله عز وجل هذا الصنف من الناس بقوله:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوب لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُون بِهَا أُولَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف (١٧٩).

فبين سبحانه وتعالى أن هذا الصنف من الناس أعضاؤهم موجودة فيما يظهر، فالقلب موجود، ولكنه لا يعي، ولا يفهم، ولا يدرك حقيقة الوجود وسر خلقه، وكذلك الأعين لا تبصر إلا الباطل والضلال، والآذان لا تسمع إلا الملاهي والمحرمات. تعطيل تام والعياذ بالله لهذه الأعضاء؛ فَحُقَّ لصاحبها أن يكون من شر الدواب عند الله، كما قال تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْم الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُــون۞ وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُون﴾ الأنفال (٢٢-٢٣).

فهم لا ينتفعون بالذكرى، ولا يتأثرون بالموعظة لأن الآذان صماء، والأعين عمياء، والقلوب ميتة؛ فهم مَقْبُورُونَ في أجسادهم قبل قبورهم نسأل الله العافية والسلامة من ذلك وإن كان هذا التعطيل يتمحض في حق الكافرين وأعداء هذا الدين، فإن هناك تعطيلًا جزئيًّا يقع فيه بعض المسلمين هداهم الله تعالى وكل بحسبه.

خامسًا: هجران القرآن الكريم، فلا يتلوه ولا يتدبره إلا قليلًا ؛ فتنقطع الروح عن غذائها، وحياتها ؛ فتقع الغفلة، وينسى ربه تبارك وتعالى ؛ مما يؤدي إلى أن يعامله الله بعدلـه، ويجازيه من جنس عمله ؛ فينسيه الله نفسه، كما نسي كتاب ربه الذي به صلاحه، وفلاحه.

فتراه مقبلًا على ما فيه هلاك نفسه وعطبها، ثم يوم القيامة ينساه الله في عذابه يوم لقائه، ناهيك عما ينتظر الغافل عن ذكر الله تعالى من المعيشة الضنك، والشقاوة في الحال والمآل كما قال تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ طه (١٢٤-١٢٦).

أي يُنسَى في العذاب والعياذ بالله، ثم قال تعالى:﴿وَكَذَلِك نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ طه (١٢٧).

نعم فالجزاء من جنس العمل، وهذه سنة لله جارية في خلقه، فكل من أعرض عن ربه عاش ملهوفًا، محرومًا، معذبًا مهما كان عنده من حطام هذه الفانية؛ فإن النعيم الحقيقي في هذه الدنيا هو نعيم القلب، ولهذا كان الحسن البصري يقول عن أصحاب الغفلة والعصيان: (**والله وإن طَقْطَقَتْ بهم البغال، وهَمْلَجَتْ بهم البَرَاذِين**[١]**، إلا أن ذل المعصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه**).

ولهذا قال تعالى بعد الآية السابقة مبينًا سبحانه سبب ذلك بقولـه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُون فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي

---

(١) البراذين جمع برذون، قال في لسان العرب: «البراذين من الخيل ما كان من غير نتاج العِراب وقال أيضًا: البرذون الهجين وقيل هو البغل».

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ طه (١٢٨).

أي أصحاب العقول التي تتفكر وتعي خطاب ربها تبارك وتعالى، ومن لا يتفكر ويتذكر ؛ تستحكم غفلته، وينفرط عليه أمره ؛ فوجب اجتنابه، والبعد عنه، وحقيق لمثله أن يُنهى عن صحبته، حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره ؛ فيصير مثله والعياذ بالله، ولهذا قال سبحانه وتعالى في مثل ذلك: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف (٢٨).

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الأعراف (٥١).

سادسًا:طول الأمل الذي يُلهي، كما قال، تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر (٣).

مما يضعف قضية الآخرة، وأهميتها في القلب حتى ينساها ؛ مما يحدث خللًا ظاهرًا، واضطرابًا كبيرًا، وفقدانًا للاتزان في حياة الإنسان ؛ لأن الله ـ تعالى ـ قضى أنه لا آخرة بدون دنيا،ولا دنيا بدون آخرة، فكلاهما لا ينفك عن الآخر. والإقبال على الدنيا، وترك الآخرة يعطل إحساس الإنسان بإنسانيته، وبحقيقة وظيفته، وسر وجوده في هذه الحياة الدنيا ؛ فيكون ذلك سببًا ظاهرًا في غفلة الإنسان ، فالعبد إنما خلق ليعمل بطاعة الله، وعبادته في هذه الحياة، فالدنيا مزرعة للآخرة، وإنما يكون الحصاد، وجني الثمار في الدار الآخرة، وما أحسن ما قاله الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ندمت على التفريط في زمن البذر

ولذلك قال ـ تعالى ـ في محكم التنزيل عن ذلك: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ

الْـحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَة وَأَنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ۞أُولَـئِك الَّذِينَ طَبَعَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلونَ ۞ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرونَ﴾ النحل (١٠٧-١٠٩).

سابعًا: المنصب، والمال، والجاه، والسلطان، والرياسة كلها مصائب، وابتلاءات تحل بالإنسان في هذه الحياة الدنيا، فمن لم ينتبه لها، ويقدرها حق قدرها، ويُصَــبِّر نفسه، عنها وعليها ؛ وإلا سلبته إنسانيته، فيتعالى ويتكبر ؛ فيبغي على نفسه، كما قال، تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْـحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون﴾ يونس (٢٣).

بل قد يصل به الأمر إلى أن ينعمي من شدة الكبر، والبغي، والطغيان؛ فيظن أنه هو صاحب النعم، ومستحقها ؛ فيقول كصاحبه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الله قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص(٧٨).فإذا نُزِعَت منه، كفر، والعياذ بالله.

ولذلك قال تعالى في وصف هذه الحالة من الطغيان البشري: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّه لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ۞إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُم مَّغْفِرَة وَأَجْرٌ كَبِير﴾ هود (٩-١١).

بل لربما تطاول؛ فادعى الألوهية، كما فعل فرعون من قبل؛ قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ النازعات (٢٣-٢٦).

ولذلك كان جزاء أمثال هؤلاء أن يقول الله عز وجل لهم:﴿سَأَصْرِفُ

عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف (١٤٦).

وإما أن تكون هذه الابتلاءات سببًا في انغماسه في الشهوات، والانحطاط به في مهاوي الرذيلة، والهوى ؛ فيقترب في شهوانيته من الحيوان، بل لربما صار أضل منه سبيلًا، وذلك عندما يُنكِر آخرته، ومعاده،كحال الذي قال الله ـ تعالى ـ عنه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُه أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۞ لَّكِنَّا هُوَ الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ الكهف (٣٥-٣٨).

فحاول صاحبه المؤمن أن يذكره بربه، ولكن هيهات هيهات ؛ فقد استحكمت غفلته، وغلبه هواه، وشهوته، وغرته نفسه بالله رب العالمين.

فعلى الإنسان أن يعلم أنه لا يصلح له أن يكون إلهًا، كما أنه لا يصلح له أن يكون حيوانًا لا يعي، ولا يعقل، بل هو الإنسان في بشريته لا إفراط، ولا تفريط، ومن شذَّ عن هذه الحقيقة، خرج عن بشريته، وخسر نفسه.

كما قال تعالى مذكرًا الإنسان بحقيقته:﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان (٢-٣).

ثامنًا: التجاري مع الأهواء، وعدم رد الفتن، واتقائها إذا عرضت على القلوب؛ مما يكون سببًا في إشراب القلب لتلك الفتن ؛ فينطمس القلب، ويختل اتزانه، حتى لا يعود يميز بين الحق، والباطل، والخير، والشر، عياذًا بالله من ذلك.

وقد وضَّح النبي ﷺ ذلك بقوله: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْـحَصِيرِ عُودًا عُودًا. فَأَيّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ. وَأَيّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ. حَتّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصّفَا. فَلاَ تَضُرّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السّمَوَاتُ وَالأَرْضُ. والآخر أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا. إِلاّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاه**»[1] .

تاسعًا: التسارع في الذنوب والمعاصي، والإكثار منها ؛ حتى يغطي القلب رانُها؛ لأنه كلما زاد العصيان، كلما انطمس نور لا إله إلا الله في القلب بحسب درجة العصيان، وكلما حصل ذلك، تخبط القلب في غياهب الضلال، والعياذ بالله، وكل بحسبه.

والقلب سيد الجوارح، فإذا ضل، ضلت الجوارح تبعًا له، كما قال المصطفى ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[2] .

قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف (١٠٠).

وقال سبحانه:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين (١٤).

وفي «مسند» أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «شعب الإيمان» والترمذي واللفظ له عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العبدَ إذَا أَخْطَأَ خَطيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبه**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن اليمان، رضي الله عنهما .

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

نُكتَةٌ سَوْداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِل قلْبُه وإنْ عاد زِيدَ فيها حتى تعلُو قلبه وهو الرَّان الذي ذكر الله ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» قال الترمذي: هذا حديثٌ حسن صحيح. وفي لفظ في مسند أحمد بن حنبل: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}**».

وذلك بعد أن بيَّن في الآية التي قبلها أنه لا ينتفع بالآيات ؛ لأنه في غفلة عنها، ثم بين سبب ذلك؛ أنها الذنوب والمعاصي، التي رانت على قلبه، فأعمته وأصمته، والعياذ بالله.

ومن أشد ذلك وأخطره التهاون بشأن الذنوب وخطرها لاسيما الصغائر، ومن هنا تكون بداية النهاية، والعياذ بالله.

كما قال ابن المعتز في أبيات مؤثرة له رحمه الله تعالى:

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يَرى
لا تحقرنَّ صغيرةً إن الجبالَ من الحصى

فلا تزال الصغائر بالعبد المتهاون بها، المحتقر لشأنها ؛ حتى تهلكه، والعياذ بالله من ذلك.

عاشرًا: الحسد الذي هو من أعظم أسباب رد الحق، والاستكبار عنه؛ مما يؤدي إلى طبع القلب ؛ فتكون الغفلة، وقد بين الله عز وجل ذلك في كتابه في غير ما آية، حيث قال تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ

كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ القمر(٢٤-٢٦).

وذلك لأنهم حسدوا رسولهم الذي أرسل إليهم، مع علمهم أنه رسول الله إليهم؛ وذلك أن الحسد يعمي صاحبه، فلا يكاد يرى للمحسود فضلا، ولا يقبل منه دعوة، ولا خيرًا ؛ لأنه يعتقد أنه أحق منه بذلك الفضل، وأولى وأجدر منه بذلك، إلى غير ذلك مما فيه الاعتراض على قضاء الله وقدره كما قال تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الفتح(١٥). أي أنتم الحاسدون ولسنا نحن.

وهذا ما حصل من كفار مكة، والعرب؛ حيث إنهم حسدوا الرسول ﷺ على رسالته، ونبوته فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الزخرف (٣١-٣٢).

وهذا هو أيضا حال منافقي المدينة ـ لعنهم الله ـ وعلى رأسهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول لعنه الله، حيث إنه كان يستعد قُبيل بعثة الرسول ﷺ لِيُتَوَّجَ ملكًا على المدينة، فلما بعث النبي ﷺ وجاءه الحق ؛ حسد النبيَّ ﷺ على هذا الخير والفضل ؛ فكان ذلك سببًا في رده الحق الذي عرفه، والعمل على النفاق، والعياذ بالله.

وكذلك حال فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام، حيث قال حاسدًا، ومتهكمًا، ورادًّا للحق بعد أن عرفه، واستبصر فيه، كما قال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ الزخرف (٥١-٥٤).

وقال ـ تعالى ـ عنه، وعن قومه: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَاوَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ المؤمنون (٤٥-٤٨).

فهذه سنة الله في الحاسدين، عدمُ قبولهم للحق، والإعراض عنه كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ الأعراف (١٠١).

وقال ـ سبحانه ـ عن استكبارهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ ۞ وَإِذْ قَالُواْ اللهمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الأنفال (٣١-٣٢).

وقال سبحانه: ﴿قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هود (٥٣).

وقال سبحانه عن عموم الكافرين: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام (٣٣).

الحادي عشر: طاعة الكبراء، والعظماء من الناس، وأصحاب الألقاب البراقة، والشهادات المزيفة، والاغترار بهم، والتبعية المحضة لهم، واعتقاد أن الحق محصور في قولهم، وأن الفهم عندهم وحدهم ؛ فتنغمس شخصيته فيهم، ويذوب في حياتهم ؛ فينسى ربه، ويطلب رضاهم على حساب دينه؛ فلا تؤثر فيه المواعظ، ولا تردعه الزواجر، ولا توقظه الوعود ولا

الوعيد، ولا الترغيب ولا الترهيب، قد استخفه الكبراء، فأطاعهم ؛ فوقعت الغفلة من جراء ذلك كما قال تعالى عن فرعون وقومه:﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَه فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ۞فَجَعَلْنَاهُم سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ الزخرف (٥٤-٥٦).

وبذلك يعترفون يوم القيامة يوم لا ينفع مال، ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما قال، تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب (٦٧).

وقال في بيان حالهم: ﴿وَلَقَد أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْن وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْد المَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْس الرِّفْدُ المَرْفُودُ﴾ هود(٩٦-٩٩).

وقال عن تبعيتهم، وتميعهم في حياة ساداتهم: ﴿وَانطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ ص (٦-٧).

وقال عن اغترارهم بحياتهم، وأُبَّهَتِهم، وأموالهم:﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِه فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ القصص(٧٩).

ولهذا يقول الله ـ تعالى ـ عن حالهم يوم القيامة مع ساداتهم:﴿وَبَرَزُواْ لله جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ الله مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا الله لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ إبراهيم (٢١).

وقال ـ سبحانه ـ موضحًا مآل هؤلاء، وهؤلاء: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ

الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّار﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ غافر (٤٧-٤٨).

بل، ولربما بلغ الأمر بهم أن يجادلوا عن ساداتهم، وكبرائهم ويكونوا أبواقًا لهم، وهذا من الخذلان العظيم واستحكام الغفلة كما قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَـؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ الله عَنْهُمْ يَوْم الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ النساء (١٠٩).

الثاني عشر: الانغماس في الواقع المعايش، وتعلق القلب بموروثات الآباء، والأجداد، والتبعية العمياء لهم مع عدم توقع أن يكون الآباء والأجداد، أو العادات، والتقاليد بابًا من أبواب الضلال، وداعية إلى نار السموم، وعذاب الجحيم، كما قال ـ تعالى ـ موضحًا، هذه المسألة الخطيرة: ﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ هود (٦٢).

وقال ـ تعالى ـ في بيان ردهم الحق، لهذا السبب:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ الله قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْه آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ البقرة (١٧٠).

ثم بين ـ سبحانه ـ أن هذا أورثهم الغفلة، وختم القلب، فقال، تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون﴾ البقرة (١٧٢).

وقال ـ تعالى ـ عن تعظيمهم لأفكار الآباء، والأجداد، مما كان سببًا للغفلة، ورد الحق: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي

الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس (٧٨).

وقال، سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ الزخرف (٢٢-٢٣).

ولهذا كان ذلك من الأمور التي أخذ الله عليها الميثاق من جميع العباد؛ حتى لا يغفلوا بسببها عن تحقيق التوحيد، وإخلاص العبادة لله الواحد القهار. فقال، تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۞أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ۞وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون﴾ الأعراف (١٧٢-١٧٤).

الثالث عشر: الاغترار بإمهال الله، وعظيم حلمه على عباده، حتى ينسى الإنسان ماضيه، وهو يظن أنه على شيء ؛ فيغتر وتكون الغفلة.

وقد بين الله ـ عز وجل ـ ذلك في كتابه العزيز، فقال، جل من قائل عليمًا: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ هود (٨). وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْـحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف (٩٥).

وقال عن قوم فرعون، واغترارهم بحلم الله عليهم:﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۞ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف (١٣٥-١٣٦).

وقال عن بني إسرائيل، وما كان منهم، وكيف أن مَنْ بَعْدَهُم لم يتعظوا بهم بل ساروا على دربهم ـ والعياذ بالله ـ من الغفلة، وسوء الخاتمة.

فقال سبحانه: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾... الآية الأعراف (١٦٨-١٦٩).

ثم حذرنا ـ سبحانه وتعالى ـ من مشابهة أهل الكتاب في ذلك؛ حتى لا نقع في داء الغفلة ؛ فتقسو قلوبنا ؛ فيصيبنا ما أصابهم من الذل الصغار، والعذاب المهين الأليم، فقال، سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد (١٦).

وأخيرًا بيَّن ـ سبحانه ـ في سورة الكهف أن هذا من الظلم الذي يورث القلب الغفلة، والحجاب عن الحق، وعدم الاستفادة من الهدى الإلهي فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْـهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ الكهف (٥٧).

الرابع عشر:عدم العمل بالعلم الموروث عن الأنبياء،مع طاعة الشياطين، والكافرين على حساب الدين، مع الاغترار بحضارة الكافرين، وتعظيم مفكريهم من الملاحدة، والدهريين؛ فيشرع في قراءة كتبهم، ورسائلهم؛ فيهلك والعياذ بالله، ويزين له الشيطان ذلك من باب أنه من الثقافة العامة، وأنه من علامات الرقي، والتحضر، ومعرفة ما عند

الآخرين من العلوم، والأفكار، فيلقون عليه من شبههم المتهالكة، فتجد قلبًا خاويًا أو إيمانًا ضعيفًا، مع قلة علم شرعي ؛ فتكون المصيبة، وتقع الغفلة والعياذ بالله من ذلك.

كما بين ـ تعالى ـ أن من أسباب الغفلة عدم العمل بما مع العبد من العلم الشرعي، بل إنما يتخذه وسيلة ؛ لينال بها حطام هذه الفانية ـ نسأل الله العافية والسلامة، ونعوذ بالله من ذلك ـ فقال، سبحانه:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون۞ سَاء مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف (١٧٥-١٧٧).

وبين ـ سبحانه ـ أن عدم الاستجابة لأمر الله، ورسوله، والعمل بذلك؛ يكون سببًا للغفلة، فقال، عز من قائل عليمًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الأنفال (٢٤-٢٥).

ثم بيّن ـ سبحانه ـ وتعالى أن طاعة غير الله، واتباع أمر غيره في معصيته، ومعصية رسوله ؛ تورث الغفلة، والذل، والهوان، والعذاب الأليم، فقال ـ تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران (١٠٠-١٠١).

أما عن طاعة الشيطان، واتباع أمره، ووساوسه، فقد ساق الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز تلك الخطبة التي سيلقيها الشيطان في أتباعه يوم القيامة، فقال الله سبحانه وتعالى:﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم(٢٢).

الخامس عشر: عشق النساء، وصورهن، والمردان من الغلمان، والحرص على القرب منهم.

وهذا أمر جلل، ونذير فساد عظيم في قلب العبد، وطريق واسع إلى الغفلة، فأولها نظرةٌ ؛ فكلمةٌ ؛ فجلسةٌ ؛ فحبٌّ ؛ فَعِشْقٌ؛ فزنًا؛ أو لواطٌ. نسأل الله العافية والسلامة من ذلك كله.

فمن وجد من نفسه حب ذلك وعشقه، أو التطلع إليه ؛ فَلْيعْلَم أنه أمام خطر عظيم، ومصيبة جسيمة، فحب ذلك ينسي الإنسان نفسه، ويفقده شعوره بما حوله، فتقع الغفلة، بل، ولربما عبد محبوبه مع الله، تعالى، أو دون الله تعالى.

كما قال ـ تعالى ـ عن قوم لوط؛ لما وقع في قلوبهم حب وعشق المردان من الغلمان، والحسان من الرجال، حتى أفقدهم ذلك شعورهم، وأسكر عقولهم وقلوبهم قال، تعالى عنهم: ﴿وَجَاء أَهْلُ المَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ ۞ وَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِين ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ الحجر (٦٧-٧٤).

وقال عن امرأة العزيز، وما حصل منها ؛ لـمَّا شَغَفَ قلبَها حبُّ سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، وما حصل من النسوة اللاتي فُتِـنَّ بما فتنت به قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ۞ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَرًا إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف (٣٠-٣٢).

فانظر كيف فقدت امرأة العزيز شعورها ؟!! وعاشت غفلتها؛ ثم انظر كيف بلغ الأمر بالنسوة؟!! حتى إنهنّ قطعن أيديهنّ بالسكين ولم يشعرن بذلك، فنسأل الله العافية، والسلامة من مضلاّت الفتن، ما ظهر منها، وما بطن.

أما عن فتنة الرجال بالنساء، وخطرها على الرجال، فيكفي أن نتذكر قول النبي ﷺ:**«ما تركت فتنة بعدي هي أضر على الرجال من النساء»**[(١)]، وقوله كما في «الصحيحين» عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والدخول على النساء»** فقال رجل من الأنصار:يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال:**«الحمو الموت»**. قال اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ كما في مسلم:"الْحَمْوُ أَخُ الزَّوْجِ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَقَارِبِ الزَّوْجِ ابْنُ الْعَمِّ وَنَحْوُهُ".

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ:**«لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم»** [(١)]. وما رُوِيَ في الحديث:**«عن ابن عُمَرَ قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِّ ﷺ فِينَا فَقَالَ أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ"** [(٢)].

السادس عشر: الاغترار بالكثرة، والغالبية من الناس، مع عدم تصور إمكانية أن يكونوا على الضلال والخطأ ؛ فتزل القدم، ويتبع العدد الأكثر دونما تأمل، ولا تفكير، ولا تدبر في أحوالهم، مع إمكانية ذلك، وإتاحته له.

ولذلك بين الله سبحانه وتعالى أنَّ ذلك أمر خطير، وأنه يؤدي بصاحبه إلى الضلال، الذي به تحصل الغفلة، والعياذ بالله من ذلك فقال تعالى:﴿وَإِن

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه أحمد، والترمذي، واللفظ له، وقال: قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام (١١٦). وقال سبحانه عن أكثر الناس: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾يوسف (١٠٣). وقوله:﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف (١٧). أي موحدين.

ثم بين سبحانه أن عامل العدد، والاغترار به، من أسباب الغفلة، وعدم اتباع الحق، وردِّه، وذلك لما قص علينا قصة نوح عليه السلام مع قومه فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لهمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَاتَّقُوا الله وَأَطِيعُونِ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الشعراء (١٠٥-١١١).

فلما كانوا هم الأكثر، والمتبعون لنوح عليه السلام هم الأقل، والأضعف؛ اغتر هؤلاء، ولم يستجيبوا إلى داعي الله.

كما أن أتباع موسى عليه السلام أيضًا قد اغتروا بما يفعله غالب الناس من الشرك، والضلال، والعياذ بالله من ذلك ؛ فذكر الله ذلك في كتابه العزيز، حتى تكون عظة للمتعظين، وعبرة للمعتبرين، أن لا يغتروا بما عليه أكثر الناس؛ فإن أكثرهم على الضلال والعياذ بالله من ذلك فقال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لهمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ الله أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف (١٣٨-١٤٠) .

السابع عشر: تقديم محبة الأبناء على محبة الله ؛ مما يجعل القلب مستغرقًا في إرضائهم، ولو على حساب دينه، ورضا ربه ؛ مما يورثه غفلة تنسيه آخرته، ولقاءه لربه.

ولقد حذر الله عز وجل من تلك المحبة التي لم تنضبط بالضوابط الشرعية؛ وبين سبحانه وتعالى أنها تكون سببًا للغفلة، وما كان كذلك ؛ فإنه عدوٌ للإنسان، ولو كان من أقرب الأقربين، ولغموض هذه المسألة بينها الله تعالى في كتابه أكمل بيان؛ ليلفت انتباه عباده إلى خطورة هذا الأمر وشدة أثره على العبد في سيره إلى ربه تبارك وتعالى، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن(١٤-١٥).

قال المفسرون، كابن زيد رحمه الله تعالى: (أي احذروهم على دينكم).

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: (يحملون الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه؛ فلا يستطيع مع حبهم إلا أن يطيعهم)[١]. ولذلك قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَالله عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن (١٥).

الثامن عشر: الانغماس في البدع، وإشراب القلب إياها، فصاحب البدعة ـ عياذًا بالله ـ تدفعه بدعته إلى غفلة أعظم، ومصيبة أكبر، والأمر كما قال بعض السلف ـ رحمهم الله تعالى:

(إن صاحب البدعة لا يقلع عن بدعته غالبًا إلا إلى بدعة أشد وأعظم).

---

(١) راجع كتابي : المحبة الحقيقية للأزواج والذرية، لمزيد بيان لهذه المسألة المهمة الخطيرة .

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى – (١٠ / ٩):(ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها. ومعنى قولهم إن البدعة لا يتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ دينا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه. أو بأنه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله. فما دام يرى فعله حسنا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب. ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى: {والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم} ......)ا.هـ..

فاتباع البدع، والعمل بها يُغْفِلُ الإنسانَ عن الحق، والعمل به ؛ لأنه استعاض عنه ببدعته التي يظن أنها دين يتقرب بها إلى الله تعالى؛ فيضيع عمره، ويهدر وقته فيما لا فائدة فيه، بل هو إلى الإثم في ذلك أقرب منه إلى السلامة، بل البدعة كلها إثم وضلال محض، وخرص وظن، وإفساد في الأرض بعد إصلاحها بالسنة، واتباع لسبل الشياطين، كما قال النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[1].

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وصححه، وابن ماجه والنسائي من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

وقال أيضا،«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**» [(١)]، وفي رواية لمسلم، «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد** ».

ولذلك ترى أصحاب البدع من أشد الناس معاداة للسنة، وأهلها، وهذه من أعظم أنواع الغفلة، بل هذا لا يصدر إلا ممن استحكمت غفلته، والعياذ بالله.

فتراهم بعيدين عن هدي سيد المرسلين، وأتباعه الموحدين، في حين أنهم متبعون لسبل الشياطين، كما قال ـ تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتبعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلهِ مَا تَوَلى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء (١١٥).

التاسع عشر: ضرب الأمثال الباطلة لله ـ عز وجل ـ ولرسوله ﷺ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز، وبين أنه سبب من أسباب الغفلة ورد الحق، واتباع الهوى، كما قال ـ تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا۞ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَّسْحُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ الإسراء (٤٥–٤٨).

هكذا رَموا النبي ﷺ: بأنه ساحر، أو أنه مسحور، أو أنه كاهن، أو شاعر، إلى غير ذلك من الأمثلة التي أرادوا بها رد الحق، وعدم اتباعه، والانقياد له.

---

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وهكذا يقول بعض الناس اليوم لداعي الحق والإيمان ؛ فتسمعهم يقولون لمن أتاهم بالحق: هذا مراءٍ، هذا طفولي يتدخل فيما لا يعنيه، وهذا يريد المناصب، والتعالي على الناس، وهذا يريد عرض الحياة الدنيا، وهذا متسلط، وهذا متشدد، وهذا متزمت، وهذا إرهابي، وهذا متخلف، وهذا رجعي، وهذا وهابي، وهذا من أصحاب الكتب الصفراء، وهذا ليس عنده فقه للواقع، وهكذا مما يكون سببًا لردهم الحق، وعدم اتباعه ؛ فتكون الغفلة، والعياذ بالله.

العشرون: الاستهزاء بالصالحين، وبلباسهم، والضحك منهم، وأسلوب حياتهم، مما اتبعوا فيه الكتاب، والسنة ؛ فينشغل الناس بذلك عن معرفة ما معهم من الحق والهدى، بل قد يكون ذلك ناتجًا عن بغضهم للصالحين، والمصلحين ؛ فيكون ذلك سببًا للكفر، والضلال والعياذ بالله، كما قال تعالى عن أهل النار، وسبب دخولهم فيها، والأمر الذي أغفلهم عن الحق؛ فقال سبحانه وتعالى:﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُه فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۞ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۞ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۞ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُون﴾ المؤمنون(٩٩-١١٠).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ص (٦٢-٦٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ۞وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ ۞ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۞ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المطففين (٢٩-٣٦).

وقال ـ تعالى ـ عن قوم نوح: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ۞فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ هود (٣٨-٣٩).

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ عن الذين استهزءوا ببعض أصحاب النبي ﷺ من القراء، والعلماء:﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ الله مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ۞ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ۞ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ التوبة (٦٤-٦٦).

نعم هكذا انشغلوا بحال الداعية إلى الحق عن الحق الذي معه؛ فلمزوه وتنقصوه وضحكوا وسخروا منه حتى نسوا ذكر الله تعالى فكانت الهلكة والعياذ بالله.

ولا أنسى أن أذكر صاحب الحق في كل زمان ومكان أن لا يكترث بهؤلاء وأن لا ينشغل بأقوالهم وأن لا يصده ذلك عن دعوته والقيام بواجبه ورسالته بل عليه أن يمضي قدمًا في الدعوة إلى الله والصدع بكلمة الحق غير هيَّاب ولا مرتاب والأمر كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف (١٠٨) وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (١٣ ـ ١٤).

ومن جميل ما نقل عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى أنه قال: (عليكم بالأثر والسنة فإني أخاف إنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه وأذلوه وأهانوه). اهـ. هكذا ذكره صاحب كتاب «تيسير العزيز الحميد» العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب وقال عقبه:(قلت رحم الله سهلاً ما أصدق فراسته فلقد كان ذلك وأعظم وهو أن يكفر الإنسان بتجريد التوحيد والمتابعة والأمر بإخلاص العبادة لله وترك عبادة ما سواه والأمر بطاعة رسول الله ﷺ وتحكيمه في الدقيق والجليل). اهـ.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في «بدائع الفوائد» (ج٢ – ص ٢٧٦):(فصل الصراط المستقيم:وأما المسألة العشرون وهي ما هو الصراط المستقيم فنذكر فيه قولا وجيزا فإن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه..............إلى أن

قال:وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به أحدا في عبوديته ولا يشرك برسوله أحدا في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول، وهذا معنى قول بعض العارفين إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبته وحسن معاملته وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأي شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته.

الأول: يحصل بالتحقيق بشهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني: يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله وهذا هو الهادي ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل له وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به. فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها)ا.هـ.

الحادي والعشرون: الشح والبخل، وحب المال، والشرف في الدين، فإنها من أهم أسباب الغفلة؛ حيث يُفْرِغُ العبد في المال جهده، ويستغرق وقته في تنميته، وتكثير سواده، مع منع حق الله تعالى فيه ؛ فيهلك العبد والعياذ بالله من ذلك كما قال ـ تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ۞حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ التكاثر (١-٢).

ولذلك حذر النبي ﷺ منه فقال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[١] .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر ﷺ .

وقال ﷺ: **«ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»** [(١)].

الثاني والعشرون: الظلم، وعقوق الوالدين؛ مما يدفع الوالدين، أو أحدهما، أو المظلوم إلى الدعاء على الولد، أو الظالم؛ فيستجيب الله الدعاء ؛ فتقع الغفلة، ويهلك العبد ـ والعياذ بالله من ذلك ـ ذلك ؛ لأن دعوة الوالد على ولده مستجابة وهذا قول طائفة من أهل العلم واحتجوا بما في «الصحيحين» في قصة جريج مع أمه التي استجاب الله دعاءها عليه، وبما رُوِيَ: **« ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»**[(٢)].

وأما دعوة المظلوم على الظالم، فقد جاء الخبر في «الصحيحين» من حديث معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**«واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».** والأحاديث كثيرة في هذا المعنى تدل على استجابة دعوة المظلوم. قال ابن عباس: (لو أن جَبَلا بَغَى على جَبَل لَدُكَّ البَاغِي)[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان والترمذي من حديث كعب بن مالك ﷺ ، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، ويروى في هذا الباب عن ابن عمر عن النبي ﷺ ولا يصح إسناده.

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي واللفظ له، ومداره على أبي جعفر المؤذن؛ فلا يقبل تفرده، فهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وهو صحيح موقوفًا، وقد رجح ابن أبي حاتم

الثالث والعشرون: نقض العهود، والمواثيق، والتي تكون سببًا في قسوة القلب، وحلول اللعنة على العبد؛ فتكون الغفلة، والعياذ بالله من ذلك، ولذلك قال الله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ الله إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ۞ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة (١٢-١٣).

وقال تعالى عنهم أيضا: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا۞فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ الله وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ النساء (١٥٤-١٥٥).

ولذلك جعل النبي ﷺ نقض المواثيق من صفات المنافقين؛ فقال ﷺ: **«آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»(١). زاد مسلم في رواية له:"وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ".**

صحة الموقوف.

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي رواية: «وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

وهي من صفات الفاسقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ الله بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ البقرة (٢٧).

ولذلك أثنى الله ـ عز وجل ـ في كتابه على الذين يوفون بالمواثيق، وأمر بذلك، وحث عليه؛ فقال ـ سبحانه وتعالى: {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الـحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ الله وَلاَ يِنقُضُونَ المِيثَاقَ} الرعد (١٩، ٢٠).

وقال ـ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ الآية المائدة (١).

فاحذر عبد الله، من نقض المواثيق مع الله ـ عز وجل ـ فإنه قد أخذ عليك الميثاق: أن تصلي في كل يوم خمس صلوات، في أوقات محدودة، وبصفة مخصوصة، في أماكن معلومة، وأخذ عليك الميثاق: أن لا تحكم إلا بشرع الله تعالى، وألا تطيع مخلوقًا في معصية الخالق، وأن تحفظ الأمانة التي حملتها من أهل وذرية، وغير ذلك من التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده، فمن لم يأت بها، كان ناقضًا للعهد والميثاق الذي أخذه الله على عباده أن يعبدوه وحده، ويطيعوا أمره، ويجتنبوا نهيه وكل بحسبه كما في قولـه ـ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف (١٧٢).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

الرابع والعشرون: الهموم، والغموم، والمشاكل، والتي غالبًا ما تكون سببًا في البعد عن الله، والركون إلى شياطين الإنس، والجن:

حيث إن كثيرًا من الناس إذا سألته لماذا لا تصلي الفجر مع المسلمين؟ أو لماذا لا تصلي مطلقًا ؟ قال لك: عندي هموم، وغموم، ومشاكل.

وإذا قلت له لماذا تشرب الدخان، والمخدرات والمسكرات؟ ولماذا تبدد الأعمار، وتقتل الأوقات ؟.

قال لك: عندي هموم، وغموم، ومشاكل، فبدل أن يفرَّ إلى الله، ويفزع إليه ويشتغل بالعمل في مراضيه ـ لعل الله أن يخفف عنه، ويفرج عنه ـ تجده بخلاف ذلك، والعياذ بالله من ذلك.

والله تعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿فَفِرُّوا إِلَى الله إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الذاريات (٥٠-٥١).

الخامس والعشرون: الفرح بما عند الإنسان من العلم الذي ورثه عن اليهود والنصارى، وأهل الكلام من المناطقة، والفلاسفة اليونان، وغيرهم، واعتقاد أن الحق، والخير فيما جاءوا به، وأن اتِّبَاعَهُم، وانتحال أفكارهم هو سر التقدم، والحضارة، والرقي ؛ فيرد تبعًا لذلك الحق الموروث عن النبي ﷺ، وأصحابه الكرام البررة.

بل ولربما استحكمت غفلته ؛ فيرمي النبي ﷺ بأنه لم تكن عنده من العلوم ما عند هؤلاء، وأن ما جاء به لا يناسب العصور المتحضرة، والتكنولوجيا الماثلة أمامنا اليوم ؛ فيعتقد أن العقل في منطق اليونان ؛فيترك وحي وقرآن الرحمن ؛ ويتبع وحي وقرآن الشيطان، ويهجر حكمة وهدي

النبي الأمين ؛ ويتبع منطق اليهود واليونان المهلك المشين، ويبتعد عن داعي الحق، والإيمان ؛ ليستجيب إلى زبالة الأذهان في منطق اليهود، والملاحدة اليونان.

وهذا اليوم واقع وحاصل، فنسأل الله العافية، والسلامة من ذلك، قال الله تعالى واصفًا حال أمثال هؤلاء، ومآلهم:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله أَنَّى يُصْرَفُونَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ۞ فِي الْـحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ الله قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ الله الْكَافِرِينَ ۞ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُــــونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْـحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُون﴾.... إلى أن قال ـ سبحـانه وتـعالى:﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ۞ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِالله وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ غافر (٦٩-٨٥).

والمصيبة الأكبر عندما يحاول هؤلاء تنزيل هذه العلوم الضالة على الشريعة ؛ فما وافق علمهم من الشريعة قبلوه، وما لم يوافقه ردوا الشريعة لأجله ؛ وفرحوا بما عندهم من العلم.

ولهذا ضل من أراد أن ينزل منطق الفلاسفة الدهرية على أسماء الرب العلية ؛ فصار: إما من الملاحدة الدهرية، أو من الأشعرية، أو الجهمية، وأشباههم من الفـرق الضـالة المعرضـة عن العلم المـوروث عن سيد البشر ﷺ، وأعلم الناس بربه، وبصفاته، سبحانه وتعالى عما يصفون. وقُلْ

مثل هذا، أو أكثر عن العقلانين من أفراخ المعتزلة اليوم، الذين يقدمون عقولهم الفاسدة على الشرع المنزل من لدن عليم خبير حكيم.

بل وترى بعض المفتونين يزدرون علوم الصحابة وفهومهم، ويحسبون أنهم مهتدون؛ مع أن الله تعالى أمر باتباع سبيل الصحابة والاهتداء بهديهم وحذر من مخالفتهم، وتوعد بنار الجحيم. ووالله الذي لا إله غيره، إنه لا خير فيمن يتنقص من فهوم الصحابة، ويزدري علومهم فهم القوم، نافسوا فسبقوا وكتب الله لهم رضوانه وأعلى درجتهم؛ فهم خير الناس للناس، وأفهم الناس لدين الله جل وعلا، فرضي الله عنهم وأرضاهم. وعلم جميع الناس عالة على فهومهم، ولا خير في فهم يخالف فهمهم خاصة في أصول الدين وقواعده الكبار ومبانيه العظام ـ وقد أجمع المسلون على الرد إلى فهومهم وعلومهم، فنحن نأخذ شرعنا من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة الصحابة الكرام البررة، ثم بالإجماع الحقيقي، والقياس الصحيح.

قال تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾النساء(١١٥).

وجاءت تزكيتهم في آيات كثيرة، وأحاديث متضافرة صحيحة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. سورة الفتح (١٨).

وقال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ سورة الفتح (٢٦).

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ الله وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُواوَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الفتح (٢٩). وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة الحديد (١٠).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** » متفق عليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:«**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**». متفق عليه.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:«**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ؛ وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ؛ وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** » أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ:(إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ:خير قلوب العباد؛ فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب الصحابة خير قلوب العباد؛ فجعلهم الله وزراء نبيه يقاتلون على دينه)[١].

وعن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال:«**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِى أُمَّةٍ قَبْلِى إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ**

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريق عاصم بن بهدلة عن زر عن ابن مسعود وحسنه شيخنا المحدث العلامة سليمان بن ناصر العلوان حفظه الله ورعاه .

وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» أخرجه مسلم.

قال شيخنا سليمان العلوان: (وهذا دليل على فضلهم، وعظيم ما دفع الله بهم من البدع والفتن والجور والفساد، فلا جرم أن جعلهم الله وزراء نبيه وحزب خليله)ا.هـ. ذكر ذلك في كتابه «الاستنفار».

وقال الإمام أبو نعيم الأصبهاني[١] ـ رحمه الله ـ عن الصحابة:(سمحت نفوسهم ـ رضي الله عنهم ـ بالنفس والمال والولد والأهل والدار، ففارقوا الأوطان، وهاجروا الإخوان، وقتلوا الآباء والإخوان، وبذلوا النفوس صابرين وأنفقوا الأموال محتسبين، وناصبوا من ناوأهم متوكلين، فآثروا رضاء الله على الغناء، والذل على العز، والغربة على الوطن، هم المهاجرون الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون حقًّا، ثم إخوانهم من الأنصار أهـل المواساة والإيثار أعز قبائل العرب جارًا، واتخذ الرسول عليه السلام – دارهم أمنًا وقرارًا، الأَعفّاء الصُّبُر، والأصدقـاء الزُّهُر، **الذين** قال ربهم فيهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فمن انطوت سريرته على محبتهم، ودان الله تعالى بتفضيلهم ومودتهم، وتبرأ ممن أضمر بغضهم ـ فهو الفائز بالمدح الذي مدحهم الله تعـالى به فـقـال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

١ – في كتاب تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة في الصفحة الأولى منه.

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فالصحابة – رضي الله عنهم – هم الذين تولى الله شرح صدورهم، فأنزل السكينة على قلوبهم؛ وبشرهم برضوانه ورحمته فقال:﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويطيعون الله ورسوله، فجعلهم مثلًا للكتابين لأهل التوراة والإنجيل، خير الأمم أمته، وخير القرون قرنه، ورفع الله من أقدارهم إذ أمر الرسول ﷺ بمشاورتهم لما علم من صدقهم وصحة إيمانهم وخالص مودتهم ووفور عقلهم ونبالة رأيهم وكمال نصيحتهم وتبين أمانتهم رضي الله عنهم أجمعين).اهـ.

السادس والعشرون: وجود الأئمة المضللين الذين يسوقون الناس إلى الجحيم بألسنة أحلى من العسل، وقلوب أمر من الصبر ؛ فيختلون الناس عن دينهم ، ويلبسون عليهم أمرهم والعياذ بالله، وهم الذين خافهم النبي ﷺ على أمته وسُئِل عنهم فحكى أوصافهم كما في حديث حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنهما يَقُولُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْـخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَر. فَجَاءَنَا الله بِهَذَا الْخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ. وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي. تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرَ؟ قَالَ، «**نَعَم. دُعَاةٌ عَلَىَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «**نَعَمْ. قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا. وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَمَا تَرَى إِنْ

أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا. وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

ومما يبين ذلك ما قاله زيادُ بنُ حديرٍ، قالَ: قالَ لي عُمَرُ: هلْ تعرفُ ما يهدِمُ الإسلامَ؟ قالَ، قلتُ: لا، قال: يهدِمُهُ زلة العالِمِ، وجدالُ المنافِقِ بالكتَابِ، وحكمُ الأئمَّةِ المضِلِّينَ[2]. فنسأل الله العافية والسلامة منهم ومن أمثالهم، لاكثرهم الله آمين.

ويعرف أمثال هؤلاء بأنهم يُحَدِّثُونَ الناس بما لم يأت به الرسول ﷺ تحت دعوى التجديد للدين، ومسايرة العصر الحديث ؛ فيلوون أعناق الأدلة، ويتقولون على الله ورسوله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۞ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ الحج (٨-١٠).

وكما في صحيح الإمام مسلم، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**سيكون في آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُم مَا لَمْ تَسْمعُوا أنتمُ ولاَ آبَاؤكُم؛ فَإِيَّاكم وَإِيَّاهُم**».

وفي رواية: «**يَكُونُ فِي آخرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ؛ يَأْتُونَكُم مِن الأحاديثِ بما لَمْ تَسْمعُوا أَنتم، ولا آبَاؤكُم. فَإِيَّاكم وَإِيَّاهُم لا يُضِلُّونكم، وَلاَ يَفْتِنُوكُم**».

وتعظم المصيبة والفتنة بأمثال هؤلاء عندما يغتر الناس بما معهم من الألقاب والأوسمة والشهادات فهذا وزير، وذاك أمير، وذاك برفسور، وهذا

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه الدارمي بسند صحيح.

دكتور، وهكذا يطرح الناس الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة الأطهار الأخيار، ويأخذوا بأقوال هؤلاء المفتونين فينبهرون بلحن قولهم وحثالة أفكارهم ونحاتة عقولهم، فإياكم وإياهم فإنهم فتنة لكل مفتون. نسأل الله العافية والسلامة منهم ومن أمثالهم؛ ولهذا قال محمد بن سيرين:

(إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)[١]

السابع والعشرون: الاستخفاف، والتهوين من مكامن النفس الأمارة بالسوء، وعدم التخلص من خبيئة السوء، وأمراض القلوب وغلها ودغلها، وإعجاب المرء برأيه.

وقد جاء في «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق أبي وائل قال: كنا بصفين فقام سهل بن حنيف ﷺ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم فإنا كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: **«بلى»**. فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: **«بلى»**. قال: فعلام نعطى الدنية في ديننا أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: **«يابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا»**. فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ فقال: إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدًا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله ﷺ على عمر ﷺ إلى آخرها فقال عمر ﷺ: يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: **«نعم»**. وفي رواية للبخاري قال:قال الزهري: قال عمر ﷺ:"فعملت لذلك أعمالاً".

وفي رواية في «الصحيحين» واللفظ للبخاري من طريق الأَعْمَشِ قَالَ:

---

١ - أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ شَهِدْتَ صِفِّينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَقُولُ:"اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا أَسْيَافَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا لأَمْرٍ يُفْظِعُنَا إلا أَسْهَلْنَ بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرِ أَمْرِنَا هَذَا". وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه فقال: حدثنا وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال: قال عمر ﷺ: (إن أخوف ما أتخوف عليكم شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء برأيه وهي أشدهن) قلت: وهذا إسناد فيه ضعف لحال موسى بن عبيدة الربذي فقد ضعفه الأئمة ومعناه صحيح.

ومن الخذلان المبين أن تجد العبد جريئًا على الله ورسوله وصحابته الكرام فيأتي بالأقوال المحدثة المنحرفة المخالفة لفهم السلف الكرام، بل ويصرح بأنه قد جاء بفهم جديد للآيات والأحاديث مخالف لفهوم السلف في مسألة من مسائل الدين الكبار، كما وقع من المتنبي الكذاب السوداني المدعي أنه عيسى ابن مريم، فقد صرح في كتبه أنه فهم آيات وأحاديث نزول عيسى عليه السلام بما لم يفهمه السلف، بل لوى أعناق النصوص ليطوعها لفهمه المخالف المصادم لما عليه السلف، وهذا من أشد البلاء والورطات التي يقع فيها العبد عندما يظن أنه فهم أو سيفهم أصول هذا الدين وقواعده أفضل أو أحسن من فهم السلف، فكيف بمن يحكم على السلف بأنهم أخطئوا الفهم بنزول عيسى عليه السلام، ويدعي النبوة والتجديد في هذا الشأن.

فنسأل الله العافية والسلامة من الخذلان[1].

---

(١) راجع كتاب الشيخ عبد الكريم الحميد «الرد الصارم على المتنبئ (سليمان أبي القاسم)» .

فالحذر الحذر من تقديم الرأي على أمر الله ورسوله ولنا فيما جرى على هؤلاء الصحابة الكرام البررة عبرة وموعظة فقد أدبنا الله بهم ورضي عنهم ورحمهم وغفر لهم وشهد لهم بالجنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلله مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ الله الحُسْنَى وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ الحديد (١٠). فكلاًّ وعد الله الحسنى ولكن لنا العظة والعبرة والسير على سبيلهم رضي الله عنهم في اتهام الرأي وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله.

والأمر كما قال ـ تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور﴾ الحج(٤٦).

قال ابن القيم في النونية:

واحذر كمائن نفسك اللاتي متى وَثَبت عليك كُسِرت كسر مُهان

الثامن والعشرون: الاغترار بالجمال، والوسامة، وحسن الطلعة، وبهاء المنظر؛ مما يكون سببًا للانشغال بالنفس وتجميلها، وتلميعها، والمحاولة الجادة للفت الانتباه إليها ؛ مما يدفع العبد إلى فعل كل ما يمكنه لتحقيق ذلك، وإعطاء النفس حظها من ذلك، فكم من عبد وقع في الجرائم والعظائم من جراء ذلك. نسأل الله العافية والسلامة.



أضرار هذا المرض

إن هذا المرض مرض مدمر، لا يُبقي ولا يذر، فهو يقضي على الإنسان بكليته ظاهرًا وباطنًا، وينحط به من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية البهيمية ـ عياذًا بالله من ذلك ـ فإليك جملة من الأضرار والأخطار الناتجة والناجمة عن استفحال وانتشار مثل هذا الداء العضال:

أولاً: حلول سخط الله وغضبه على من استحكمت غفلته.
كما قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ طه (٨١)

ثانيًا: يصير صاحبه حطبًا لجهنم، ووقودًا لها كما قال ـ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لهمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف (١٧٩).

ثالثًا: إظلام القلب، وانطفاء نوره مع الطبع عليه وعماه
كما قال تعالى:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤)، وقوله تعالى:﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام (١٢٢).

أي أنه كان قبل ذلك؛ ميتًا مظلم القلب منطفئ النور من جراء الغفلة والعياذ بالله من ذلك فأحياه الله تعالى بأن نجاه من هذا الداء العضال.

رابعًا:سوء تقدير الأمور، وعدم إدراك الحقائق مع عظمتها وظهورها ؛ لعدم إحساسه بها ؛ لانقلاب الموازين عنده مع عدم الاستفادة من المواعظ والذكرى، وعدم التأثر بكلام خالق الكون ـ الله رب العالمين ـ كما قال ـ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا۞ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۞ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۞ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء (٤١-٤٦).

خامسًا:سوء الخاتمة، وأخذ الله لهم بغتة وهم لا يشعرون، كما قال ـ تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ الله أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ يوسف (١٠٧). وإن الذي يستمر على غفلته حتى تحين لحظة فراقه لهذه الدنيا التي غرته ؛فإن الله يخذله ويضله ـ إلا ما شاء الله ـ فنسأل الله العافية والسلامة كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاء﴾ إبراهيم (٢٧).

فلا يستطيع التراجع، أو الاعتذار قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِين لا

يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ ولا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ولا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ الأنبياء(٣٩-٤٠).

وقوله ـ تعالى:﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾الزمر(٥٥-٥٦).

وقوله ـ تعالى:﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون (٩٩-١٠٠).

سادسًا: مقت الصالحين له، ولربما نجم عن ذلك دعاؤهم عليه، كما قال تعالى عن الغافل المذكور في سورة «الكهف» المحاور لصاحبه المؤمن:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۞ لَّكِنَّا هُوَ الله رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا۞ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء الله لَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۞ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۞ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ الله وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۞ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لله الْـحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ الكهف (٣٥-٤٤).

وكذلك قوله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام:﴿رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مَنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۞إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ولا يَلِدُوا إلا

فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح (٢٦-٢٧).

سابعًا: فساد الأرض، وعموم الشرك، والمعاصي، وذلك عندما تكثر الغفلة ؛ فتكثر المعاصي تبعًا لذلك ؛ فيظهر الفساد في البر والبحر، كما قال تعالى:﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم (٤١). وقوله تعالى:﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام (١١٦). وقوله تعالى:﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يوسف (١٠٣)، وكقوله تعالى:﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف (١٧).أي موحدين لله العظيم. وما ذلك إلا لكثرة الغفلة، واستحكامها في أكثر الناس عياذًا بالله من ذلك.

ثامنًا: الحجاب عن رؤية الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة في يوم المزيد، يوم استزارة رب العبيد للعبيد، فكما حجبت الغفلةُ العبدَ عن ربه في هذه الحياة الدنيا ؛ فإنها تكون أيضًا سببًا لحجابه عن ربه ـ عز وجل ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا أشد عذاب أهل النار ـ والعياذ بالله ـ كما قال تعالى عن المجرمين أصحاب الجحيم الغافلين:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۞ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْـجَحِيمِ﴾المطففين (١٥-١٦).

وأما في الدنيا فله المعيشة الضنك، التي توعد الله بها الغافلين المعرضين عن لا إله إلا الله، وعن ذكر الله ـ عز وجل ـ التي قال النبي ﷺ فيها:

«أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله »(١).

قال الله ـ تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ۞ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۞ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ طه (١٢٤-١٢٨).

تاسعًا: **قلة الأرزاق، و تأذي الدواب**، والهوام بسبب كثرة هذا الصنف من الناس حيث إنهم يحرمون القطر من السماء، وتقل بركات الأرض، والخيرات كما قال ـ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف (٩٦).

ويستأنس لذلك بما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وغيرهما من طريق سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد الأشجعي عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر »**(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب، والنسائي في «اليوم والليلة» وابن ماجه، وابن حبان من حديث جابر.

(٢) وأخرجه ابن حبان في «صحيحه». قال في «الزوائد»:إسناده حسن. قلت:ومداره على عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن وثقه ابن معين وقال عنه أبو حاتم صالح كما في الجرح والتعديل. وروى عنه الثقاة كشعبة والثوري، ووثقه الذهبي والعجلي

عاشرًا:ضياع عمره، وحسرته على ذلك يوم القيامة ؛ لأنه أفنى عمره فيما يضره، ولا ينفعه ؛ فكانت الحسرة، وكانت الندامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا﴾ الفرقان (٢٣).

وقوله ـ عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ۝وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ۝تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً۝تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ الغاشية (١-٧).

فانظر كيف أن الله ـ عز وجل ـ قد أثبت لهم العمل، بل وشدة التعب فيه، إلا أنه لم ينفعهم ؛ لأنه كان من أعمال الغافلين المعرضين المتبعين للهوى، والنفس، والشيطان كما قال ـ تعالى:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ الكهف (١٠٣-١٠٥).

وقال ـ تعالى ـ مبينًا سخافة عقول نوع خطير من الغافلين، ومحذرًا من سلوك طرقهم المهلكة المؤدية إلى الجحيم أبد الآبدين، ودهر الداهرين فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ يَدْعُو مِن دُونِ الله مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ الحج (١١-١٣).

وقال عز ـ من قائل عليمًا:﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا۝أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

وذكره ابن حبان في كتابه الثقاة.

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ الإسراء (٥٦-٥٧). ولذلك قال الله ـ عز وجل ـ محذرًا من هذه الحسرة:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مريم (٣٩).

وقال تعالى:﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ البقرة(١٦٦-١٦٧).

وقال ـ تعالى:﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الزمر (٥٦-٥٩).

ولكن الله المستعان:﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون ۞ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ ۞ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يس (٣٠-٣٢).

الحادي عشر: إهلاك نفسه، ومن تحت يده ؛ حيث إنه ـ ولغفلته ـ يعمل على ما يهلكهم، ويرديهم، وإياه ؛ فيقدم لهم الباطل على أنه الحق[1]، ويحببهم فيه، ويبغضهم في الخير، وأهله، وهو يظن أنه يحسن بذلك عملًا ؛ فيقدم لأهله أنواعًا من الشرور، والفتن على طبق من ذهب، ويدفعهم إلى الفساد دفعًا ؛ فيحول بينهم، وبين ربهم وطاعته ـ سبحانه ـ ولذلك قال ـ

(١) راجع كتابي : «المحبة الحقيقية للأزواج والذرية».

تعالى محذرًا من ذلك: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الزمر (١٥).

الثاني عشر: تخلف المسلمين، وذلهم، وانحطاطهم، وتسلط الأعداء عليهم؛ يوم أن يكثر هذا الصنف الغثائي من الناس الذين يقبلون على الدنيا، ولا يهتمون، للآخرة كما قال النبي ﷺ: «**إِنّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتّقُوا الدّنْيَا، وَاتّقُوا النّسَاءَ، فَإِنّ أَوّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النّسَاءِ**»[١]. وقوله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد ـ سلط الله عليكم ذلًا لا يرفعه، حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٢]، وهذا ما حصل اليوم، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الثالث عشر: تألم الصالحين، وحزنهم، واشتداد غربتهم، واستحكام كربتهم. والذين هم أفضل عند الله، وأكرم من الدنيا، وما عليها، كما أخبر النبي ﷺ عن شدة ألمهم وصبرهم على ذلك، فقال ﷺ: «**بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ، حَتّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصّةِ نَفْسِكَ، وَدَعِ الْعَوَامّ، فَإِنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيّامًا الصّبْرُ فِيهِنّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْـجَمْرِ، لِلعَامِلِ فِيهِنّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رَوَاهُ أَبو داودَ وَفِي إسنادِهِ مَقَالٌ، ولأَحْمَدَ نَحْوُهُ مِنْ روَايةِ عطَاءٍ عن ابن عمر، وَرجَالُهُ ثِقاتٌ، وَصحّحَهُ ابْنُ الْقَطّانِ،.ولكنه مرسل. قال أحمد وابن المديني : لم يسمع عطاء من ابن عمر .

(٣) أخرجه أبوداود وابن ماجة وابن حبان والترمذي واللفظ له من حديث أبي ثعلبة

وقال ﷺ:«بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبا. فَطُوبىَ لِلْغُرَبَاء»[1].
وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ:«إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا». أخرجه مسلم.
ومعنى: يأرز : أي ينضم ويجتمع.



الخشني ﷺ ، وفيه ضعف، وقد حسنه ابن القيم في نونيته، وقال الترمذي عقبه: حسن غريب .

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ .

طرق الوقايـة

إن خير طريق للسلامة من هذا الداء العضال هو اتخاذ الإجراءات المناسبة، والاحتياطات الملائمة ؛ لدفع هذا المرض قبل حلوله، واستفحال أمره، فإليك أخي القارئ الكريم جملة منها:-

أولا: سؤال الله العافية والسلامة من هذا المرض الخطير صباحًا ومساءً، في كل صلاة، وفي كل حين، فالدعاء من أعظم أسباب دفع البلاء، والغفلة من أعظم أنواع البلاء الذي يحل بدين العبد، والله يحب العبد الملحاح، ومَنْ داوم على طرق الباب أوشك أن يُفتح له، ومن لم يسأل الله يغضب عليه، ومن ذلك ما جاء في «الصحيحين» حيث أمر النبي ﷺ الناس بذلك بألفاظ متنوعة بنحو قوله: **«واسألوا الله العافية»**، **«وسلوا الله العافية»**، ومنه ما جاء عَن العَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطّلِبِ قالَ: قُلْتُ يا رَسُولَ الله عَلّمْنِي شَيْئًا أسْألُه الله ـ عز وجلّ ـ قالَ: **«سَلِ الله العَافِيَةَ، فَمَكَثْتُ أيّامًا ثُمّ جِئْتُ فَقُلْتُ، يا رَسُولَ الله عَلّمْنِي شَيْئًا أسْأَلُه الله فقالَ لِي: يَا عَبّاسُ يَا عَمّ رَسُولِ الله سل الله العَافِيَةَ في الدّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[1]. فالدعاء سلاح المؤمن،

(١) أخرجه أحمد و الترمذي، وفيه لين لحال يزيد بن أبي زياد، وقد قال الترمذي عقبه :(هذا حديث صحيح). ولعله قبله لأن مثله يقبل في باب الفضائل، ولم يتفرد

وهو من أقوى الأسباب لدفع ورفع البلاء بإذن الله تعالى. والله تعالى أعلم.

ثانيًا: عدم الأمن من مكر الله، وسؤال الله الثبات على الحق حتى الموت، والخوف من الحور بعد الكور، ومن الردة بعد الهداية، ومن الغواية بعد الرشد ؛ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ـ جل جلاله ـ يقلبها كيف يشاء ولذلك امتن الله ـ عز وجل ـ بنعمة التثبيت لنبيه ﷺ فقال ـ عز من قائل عليمًا: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ الإسراء (٧٣-٧٥).

ولذلك كان النبي ﷺ ـ وهو سيد الخلق أجمعين وأشرف المرسلين ـ يكثر أن يقول: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» «**اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك**» ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ ـ كُلّهَا ـ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرّحْمَنِ. كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**». ثُمّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«**اللهمّ مُصَرّفَ الْقُلُوبِ صَرّفْ قُلُوبَنَا عَلَىَ طَاعَتِكَ**»[1].

ومنه ما روي من طريق أبي سفيان عن أنسٍ قالَ: «كان رَسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقولَ: «**يا مُقَلّبَ القُلُوبِ ثَبّتْ قَلْبِي على دِينِكَ**» فَقلت، يَا نَبِيّ الله، آمَنّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ، بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ **قَالَ: «نَعْم، إنّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلّبُهَا كَيْفَ يشاء»**[2].

بمعناه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٢) أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة والترمذي، وقال: حديث حسن . قلت : على مقال

والخوف من الله هو هدي المؤمنين الصالحين، والأمن من مكر الله هو هدي الخاسرين الضالين، كما قال تعالى عن المؤمنين:﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون﴾ المؤمنون(٦٠).

وفي الحديث أن أم المؤمنين ـ عائشة رضي الله عنها قالت ـ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَن هَذِهِ الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُم وَجِلَةٌ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ، أَهُم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ ويَسْرِقُونَ؟ قال: **لا يا بنْتَ الصّدّيقِ وَلكَنّهُم الّــذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلّونَ، وَيَتَصَدّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أن لا يقبل مِنْهُم، أُولَئِكَ الّذِينَ يُسَارِعُونَ في الخَيْراتِ، وَهُمْ لَهَا سَابقُونَ**»[1].

أما الآخرين فقد قال الله فيهم:﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ الله فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْـخَاسِرُونَ﴾ الأعراف (٩٩).

ثالثًا: الإكثار من قراءة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة؛ لمعرفة خطر هذا المرض، وعاقبة أهله في الدار الآخرة، وأوصافهم،

يسير في أبي سفيان . وهو عند الحاكم من مسند جابر وللحديث شواهد كثيرة . وعند البخاري عن ابن عمر قال:كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلِّب القلوب».

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه على خلاف في سماع عبد الرحمن بن سعيد الهمداني من عائشة ـ رضى الله عنها . وأخرجه الطبري في التفسير بمعناه، موصولًا عن أبي حازم عن أبي هريرة عن عائشة على مقال في شيخه محمد بن حميد ، قال أبو عيسى الترمذي : وقد رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ عَن عَبْد الرْحمَنِ بن سَعِيدٍ عَن أَبي حازم عن أبي هريرة عن عائشة ـ بنحوه .

قلت: قد رواه على الانقطاع سفيان الثوري ووكيع ، بينما وصله من هو دونهما بكثير في الحفظ والضبط؛ فالراجح انقطاع الخبر، ولهذا والله أعلم قال الترمذي ورُوِيَ هكذا وكأنه أراد بها تضعيفه، وإن كانت هذه اللفظة (رُويَ) ترد في كلام الأئمة المتقدمين حتى في حديثهم عن الأحاديث الصحيحة، فهي ليست صيغة تضعيف مطلقة لديهم، خلافًا لكثير من المتأخرين.

ومصيرهم في الحياة الدنيا.

كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد (٢٤). وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف (١٠٩).

وقوله ـ تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج (٤٦). وقولـه ـ تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الأنعام (١١).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ محمد (١٠).

وكذلك الحرص على قراءة، ومطالعة ما كتب حول هذا الداء الخطير من أقوال أهل العلم من سلف هذه الأمة الأخيار، ومن سار على نهجهم ممن جاء من بعدهم، واهتدى بهداهم ؛ فهي من الأسباب التي يحيي الله بها القلوب، وينير بها الطريق، ويكشف بها خبايا ومضاعفات هذا المرض الخطير.

رابعًا: الحرص على مصاحبة الأخيار الذين يُذكرونك إذا نسيت، وينبهونك إذا غفلت، ويصوبونك إذا أخطأت،و يناصحونك إذا زللت، ويحرصون على جلب الخير لك، ودفع الشر عنك.

وكما قيل من قبل: المؤمنون نَصَحَةٌ، والمنافقون غَشَشَةٌ. فالصاحب ساحب.

والأمر كما جاء في الصحيحين عَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ:«**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ**

الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً».

فاحرص على مصاحبة الناصحين لك خاصة في أمر دينك، واحذر من الذين يغشونك، ويزينون لك سوء العمل.

خامسًا: تذكر نعم الله عليك التي لا تعد، ولا تحصى، وأَكْثِرْ من شكرها بلسان الحال، ولسان المقال ؛ فبالشكر تقر النعم، وبالكفر تفر النعم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّن رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم (٧).

سادسًا: الحرص التام على الاستفادة من كل ما حولك من مجريات الأحداث، والنظر، والتأمل في آيات السماء والأرض، وما في البر والبحر والجو من الكائنات والجمادات، وعجائب المخلوقات، والتأمل في ذلك كله ؛ لكي ترسخ قضية الإيمان في قلبك ؛ ولكي يكون قلبك منتعشًا دائمًا بالتفكر، والتدبر، والتأمل ؛ مما يقرب العبد إلى ربه ؛ فيقدر الله حق قدره، فإن أكثر ما يورث القلب الغفلة هو عدم معرفة العبد لربه ـ تبارك ـ وتعالى ـ وعظمته وجلاله وقدرته؛ ولهذا قال ـ تعالى:﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لله وَقَارًا۝وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾نوح (١٣-١٤). وقال سبحانه:﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر(٦٧).

والأمر كما قال ربنا جل وعلا:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ الله مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ

الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة (١٦٤). وقوله ـ جل في علاه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران (١٩٠-١٩١).

سابعًا: الحرص الشديد على استغلال الأوقات فيما يعود بالنفع على الإنسان، إما في أمور الدنيا، أو أمور الآخرة ؛ لأن تضييع الأوقات في ما لا فائدة فيه، ولا مصلحة ظاهرة ؛ يورث القلب غفلة، وذهولًا عن الحق، ولذلك كان السلف يعدون تضييع الأوقات من قسوة القلوب ؛ ولذلك كانوا يحرصون على أوقاتهم أكثر من حرصنا على أموالنا، وكانوا دائمًا يتطلعون إلى شغل أوقاتهم بما يعود عليهم بالنفع ؛ ولذلك كان أحدهم يقول: (من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون ومن كان يومه شرًّا من أمسه فهو ملعون) أي مطرود محروم من الخير ؛ لأن العبد في كل يوم يقطع مرحلة من عمره تقربه من لقاء ربه، فالعاقل هو الذي يتزود في كل يوم زادًا أكثر من سالفه ؛ لأنه في كل يوم يمضي من عمره يقترب من الموعد المضروب، والأجل المحتوم، والله المستعان.

وإن أكثر ما يوقع العباد في الغفلة هو الفراغ الذي يورث الملل فيحاول العبد أن يتخلص من الوقت كيفما اتفق، ويحاول أن يقضي على الملل بأي وسيلة كانت؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»**[1]. وقال الله تعالى في آيات عالجت قضية الفراغ والملل وذلك قوله ـ تعالى:﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ الشرح (٧-٨).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ثامنًا: الحرص على التحصن من العدو اللدود الشيطان الرجيم أعاذنا الله وإياكم منه آمين.

وذلك بالمواظبة على أوراد الصباح والمساء، فإياك إياك من تركها، أو التهاون بشأنها، أو الغفلة عنها مهما كانت الظروف، والمشاغل، فاجعلها في محل الأساس من يومك، والأصل في جميع عملك، ومحور أوقاتك، واجعل ما سواها من أمور دنياك تبعًا لها، فقدمها على كل شيء قدر المستطاع ؛ لأن تركها يورث الغفلة ويخلي بينك وبين الشيطان وأعوانه والعياذ بالله ـ كما قال الله ـ عز وجل ـ مرشدًا نبيه إلى هذا الأمر العظيم فقال ـ عز من قائل عليما: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ الأعراف (٢٠٥).

ولذلك جاءت الأحاديث النبوية بالترغيب الشديد، والتحريص الأكيد على أهمية ذكر الله ـ عز وجل ـ كما قال النبي ﷺ: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**[(١)]. وما أكثر الأحاديث التي جاءت في بيان عظمة الذكر وأهميته، وفضله، وأنه حرز منيع، وحصن حصين من الشياطين، وكيدهم.

فمن حرص على أذكار الصباح، والمساء، والنوم، واليقظة، وما شابه ذلك من الأذكار التي صحَّت عن النبي ﷺ ـ قلما يغفل قلبه، بل سيكون قلبه ـ إن شاء الله تعالى ـ من القلوب الحية المستنيرة المحفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ وبذكره ـ عز وجل ـ. والله أعلم.

تاسعًا: الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ خاصة في التحذير من هذا المرض الخطير بالقلم واللسان ؛ فيكون ذلك بحول الله ـ عز وجل ـ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ .

وقوته دافعًا كبيرًا للبعد عن الغفلة وأسبابها، ودافعًا للناس أن يراقبوك ؛ فيكونوا عينًا عليك فإن زللت أنَّبُوكَ وإن نسيت ذكروك، وهكذا حتى ترجع عما أنت مقبل عليه من الأمور التي تورث القلب الغفلة.

فالدعوة إذن من أقوى الأسلحة الدافعة لهذا المرض بعد توفيق الله عز وجل، وتأييده، ونصرته. والله أعلم.

عاشرًا: وكما تقدم محاسبة النفس، والخلوة بها، والصدق في مراقبتها. فإن الذي يداوم على محاسبة نفسه بصدق، وأمانة ؛ قلما يقع في مثل هذا المرض بإذن الله ـ عز وجل. ذلك لأن محاسبة النفس باستمرار تورث القلب حياة، ويقظة تامة، وهمة عالية إلى معالي الأمور والدرجات العلى.

فأسأل الله لي ولكم قلوبًا حية، وحسن محاسبة للنفس. إنه جواد، كريم بر، رءوف، رحيم.

الحادي عشر: وهو من أهم الأمور، ألا وهو حسن تنشئة الأولاد والأزواج والذرية؛ وذلك بتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة السليمة، مع إبعاد كل ما قد يكون سببًا في الحيلولة بينهم وبين ربهم، وطاعته، ومرضاته، من القصص الهابطة، والمجلات الماجنة، والعلوم الفاسدة، والأجهزة الملهية القاتلة للقلوب، المرئية منها والمسموعة؛ كالدش، والتلفاز، والفيديو ؛ فإنها تحول بين الأولاد والأسرة كلها وبين ربهم، وطاعته، والعمل على مرضاته ؛ كما أنها تهدم العقائد، وتفسد الأخلاق، وتُعَظِّمُ وترفع من شأن الفساق والمفسدين في الأرض بعد إصلاحها، من الممثلين، والممثلات، والفنانين، والفنانات، واللاعبين، واللاعبات الأحياء منهم والأموات، وتُحَبِّبُ المسلمين في أعدائهم من اليهود والنصارى والمنافقين، والعلمانيين والكافرين عمومًا ؛ لما تقدمه تلك

الأجهزة من أمثال هؤلاء على أنهم القدوات، وأنهم المقدمون في المجتمعات؛ مما يغري الآخرين ويدعوهم إلى أن يحذوا حذوهم، ويسيروا على طريقتهم.

فهي بحق أجهزة الدمار الشامل

فعلى كل مربٍّ ـ إن كان حقًّا يحب أهل بيته ـ أن يجنبهم مثل هذا الخبث الذي يؤدي بالأسرة إلى سخط الله، وغضبه، وأليم عذابه، والعياذ بالله من ذلك. وعليه أن يحرص على صلاحهم، وجلب كل ما يقربهم من الله زلفى، وأن يكون طموحه فيهم أن يكونوا أحد السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وقد ذكر النبي ﷺ منهم:« **وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِّ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَّ فِي خَلاَءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ.....الحديث**».

وأن يكون خير قدوة لهم؛ يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحبب إليهم الخير، ويبغض إليهم الشر، وأن يدعو بدعاء العباد الصالحين كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾الفرقان (٧٤-٧٦).

ولذلك كان من علامات أهل الجنة في هذه الحياة الدنيا أنهم مشفقون بعضهم على بعض. فالكل حريص على نجاة الآخر من عذاب الله ـ عز وجل ـ وحريص أن يكون معه في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۞وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ الطور (٢١-٢٨).

فكلهم على حذر أن يفرق بينهم يوم القيامة ؛ ففريق في الجنة، وفريق في السعير كما قال ـ تعالى:﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْـخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۞ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ الزمر (١٥-١٦).

فنسأل الله العافية والسلامة من أن يفرق بيننا، وبين من نحب من الآباء، والأزواج، والأبناء، والأقارب، والأصحاب، والأهل والذرية [١].

۞۞۞

---

(١) راجع كتابنا «المحبة الحقيقية للأزواج والذرية» فإنه نافع ومفيد في بابه .

طرق العلاج

لاشك أن هناك تشابهًا كبيرًا بين طرق الوقاية وطرق العلاج ؛ لأن كثيرًا من وسائل العلاج تصلح أن تكون طرقًا للوقاية ؛ للتشابه الكبير بينهما، ولكن ـ ولتمام الفائدة ـ سأذكر طرق العلاج مفصلةً، ولو كان في ذلك تكرار لبعض الفقرات، ولكن لابد أن هناك فرقًا بينهما، فإنك أخي القارئ الكريم لن تعدم الفائدة وأنت تقرأ هذا أو ذاك والمقصود حصول النفع والله ولي التوفيق .

إن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل معه دواءه، علمه من علمه، وجهله من جهله، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه[1]، وهذه الأدواء تشمل: أدواء البدن، والروح، والقلب على حد سواء؛ لعموم الأخبار الواردة في ذلك، بل هي آكد في أدواء الروح، والقلب. والقرآن الكريم، والسنة المطهرة مليئان بأساليب، وأنواع مختلفة من العلاجات لا سيما هذا المرض، وإليك جملة من أنواع العلاجات التي تقضي على هذا المرض الخطير بإذن الله عز وجل وحوله وقوته:

أولا: الاستعانة بالله ـ عز وجل ـ ودعاؤه أن يرفع هذا البلاء، فالدعاء أقوى سلاح لدفع البلاء قبل وقوعه، ورفعه بعد وقوعه، إذا خلت

(١) كما جاء ذلك في:«صحيح البخاري» عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ. قال: « مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً». وفي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ ».

موانعه نفع الله ـ عز وجل ـ به، ودفع. وقد أمر الله ـ عز وجل ـ عباده بذلك، ووعدهم بالإجابة، وبين لهم أنه يغضب على العبد الذي لا يسأله ولذلك قال النبي ﷺ فِي قَوْلِهِ:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ} قَالَ:«**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**». **وَقَرَأَ:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ} إِلَى قَوْلِهِ:{دَاخِرِينَ}**. [(١)]. وفي رواية ضعيفة:«**الدعاء مخ العبادة**»[٢]، وفي الحديث الذي فيه ضعف قال رسول الله ﷺ:« **مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ** »(٣). وقال ﷺ :«**استعن بالله ولا تعجز**»[(٤)].

وما ألطف ما قال بعضهم:

لا تسألن بُني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يسأل يغضب

ثانيًا: الإكثار من ذكر الله ـ عز وجل ـ والحرص على ذلك،

فإن المصاب بهذا المرض تجده لا يذكر الله إلا قليلا ـ والعياذ بالله ـ فيستحوذ

(١) أخرجه أحمد، وأصحاب السنن ، وقال الترمذي: حسن صحيح، كلهم من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

٢ - أخرجه الترمذي من حديث أنس وفيه ابن لهيعة ضعيف الحديث.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري - (ج ١٨ / ص ٥٥):(أَخْرَجَهُ أَحْمَد وَالْبُخَارِيّ فِي "الْأَدَب الْمُفْرَد" وَالتِّرْمِذِيّ وَابْن مَاجَهْ وَالْبَزَّار وَالْحَاكِم كُلّهمْ مِنْ رِوَايَة أَبِي صَالِح الْخُوزِيّ بِضَمِّ الْخَاء الْمُعْجَمَة وَسُكُون الْوَاو ثُمَّ زَاي عَنْهُ، وَهَذَا الْخُوزِيّ مُخْتَلَف فِيهِ ضَعَّفَهُ اِبْن مَعِين وَقَوَّاهُ أَبُو زُرْعَة، وَظَنَّ الْحَافِظ اِبْن كَثِير أَنَّهُ أَبُو صَالِح السَّمَّان فَجَزَمَ بِأَنَّ أَحْمَد تَفَرَّدَ بِتَخْرِيجِهِ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ فَقَدْ جَزَمَ شَيْخه الْمِزِّيّ فِي "الْأَطْرَاف" بِمَا قُلْته. وَوَقَعَ فِي رِوَايَة الْبَزَّار وَالْحَاكِم عَنْ أَبِي صَالِح الْخُوزِيّ "سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة").ا.هـ.

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

عليه الشيطان ؛ فينسيه ذكر الله عز وجل ؛ فيكون من الغافلين الخاسرين.

ولذلك حذر الله ـ عز وجل ـ من حزب الشيطان ؛ فقال ـ تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ الله أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْـخَاسِرُونَ﴾ المجادلة (١٩)؛ وذلك لأن الشيطان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، يشم قلب العبد فإذا غفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس، وذلك هو الوسواس الخناس، ولذلك قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ البقرة (١٥٢). ومن أكثر من ذكر ربه وفقه، وهداه، وحفظه، وعافاه، وشفاه، ووقاه، وكفاه، والله على كل شيء قدير، فنسأل الله من فضله العظيم. وأما من نسي ذكر ربه خذله الله، وأضله، وابتلاه، وزاده مرضًا، وخبالًا، ووكله إلى نفسه، والشيطان، عياذًا بالله من ذلك الحال ومن سوء المآل.والأمر كما قيل: من أحب شيئًا أكثر من ذكره.

وعن أبي هريرة ﷺ **قال**: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: **«سيروا هذا جمدان سبق المفردون»** قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»** [(١)]. ولذلك قال النبي ﷺ للصحابي: **«لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»** [(٢)]. والأحاديث في الباب كثيرة جدًّا، ولذلك قال السلف ـ رحمهم الله تعالى: (إذا كنت في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد، والترمذي، وقال: حسن غريب وابن أبي شيبة، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن عبد الله بن بسر ﷺ. قلت:وفي أحد طرق الحديث لين لحال معاوية بن صالح . ولكن جاء بسند جيد في مسند أحمد من طريق عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ نُوح عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ أَتَى النَّبِىَّ ﷺ أَعْرَابِيَّانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا مَنْ خَيْرُ الرِّجَالِ يَا مُحَمَّدُ قَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ». وَقَالَ الآخَرُ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ. قَالَ:«لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». والله أعلم .

الغافلين فاحرص أن تكون من الذاكرين وإذا كنت في الذاكرين فإياك أن تكون من الغافلين).

ثالثًا: الحرص الشديد على أداء الصلوات المفروضة، والفزع إليها، والمحافظة على النوافل فإنها خير معين عند الشدائد، والملمات بعد توفيق الله، وتأييده فإنها تنهى عن الفحشاء، والمنكر والبغي كما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة (١٥٣). وقال تعالى:﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَاب وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ وَالله يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾العنكبوت (٤٥).

فتلاوة الكتاب، وإقام الصلاة وذكر الله من أقوى الأسباب الدافعة للغفلة بإذن الله عز وجل.

فما من ذنب ولا غفلة دون الشرك إلا وترك الصلاة أعظم وأكبر منها، بل تارك الصلاة مشرك كافر كما جاء بذلك الخبر الصحيح عن النبي ﷺ وقد أجمع أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم على أن تارك الصلاة كافر خارج عن ملة الإسلام، فمن ترك الصلاة فقد استحكمت غفلته ـ والعياذ بالله من ذلك وكان من الكافرين الضالين المضلين نسأل الله العافية والسلامة من ذلك.

واعلم ـ عبد الله ـ أنك لن تتقرب إلى الله ـ تعالى ـ بشيء أحب إليه ولا أفضل عنده من أداء ما افترضه عليك، كما قال صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث القدسي: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهَ ﷺ :«**إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ**

كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[١]. ومعنى "آذنته" أي أعلمته.

رابعًا: تلاوة القرآن الذي هو حياة القلوب، وروحها، ونورها، وخاصة السور التي تطرد الشياطين، لا سيما سورة «البقرة» ؛ حتى تخرج الشياطين وتحل البركة، والسكينة في المنزل.

ولذلك قال النبي ﷺ:**«لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**[٢]. وكذلك حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:**«اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة»**[٣].قال معاوية بن سلام ـ أحد رواة الحديث: بلغني أن البطلة السحرة.

وكذلك المواظبة على الأذكار الخاصة بطرد الشيطان الرجيم من المنازل، كالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من طريق أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول:**«إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم، ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال أدركتم المبيت والعشاء»**.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم.

جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِى الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِىِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِى يَدِى مَعَ يَدِهَا»**[١].

فإذا طردت الشياطين من المنزل ـ خاصة المردة منهم ـ فقد قَلَّتْ أسباب الغفلة وحَلَّتْ أسباب الرحمة والبركة ؛ فيكون العبد أقرب إلى ربه، وأرجى لرحمته وهدايته ، والله هو نعم المولى ونعم النصير. والأمر كما أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في كتابه «السنة» فقال: حدثني أبي رحمه الله، ثنا جرير، عن منصور بن المعتمر، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل الأشجعي قال: كنت جارًا لخباب فخرجنا يومًا من المسجد ـ وهو آخذ بيدي ـ فقال: (يا هناه تقرب إلى الله عز وجل ما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه يعني القرآن) قلت:وهذا إسناد صحيح.

خامسًا: تدبر القرآن الكريم، وقراءة التفاسير حوله خاصة تفاسير سلف هذه الأمة الأخيار، مع البعد عن تفاسير المبتدعة، والضالين، مع سؤال أهل العلم من أهل السنة عن ذلك، لأن قراءة القرآن بتدبر هي حياة القلوب، وإيقاظ لها من رقدتها، وغفلتها.

فاجعل لك حزبًا يوميًّا تقرأه من «القرآن الكريم» بتفكر، وتدبر، وحرص على العمل به، وتطبيقه ولو كان ذلك الحزب الذي تقرأه قليلًا، فإن العبرة بالتدبر والعمل لا بمجرد القراءة النظرية العابرة.

واعلم أن هذا من أكبر العوامل، وأفضل أنواع الشفاء المعين بإذن الله ـ

---

(١)أخرجه مسلم .

عز وجل ـ على دفع الغفلة. فالقرآن شفاء للأبدان والأرواح ـ وخاصة القلوب الغافلة ـ فإن فيه من الروادع، والزواجر، والوعد، والوعيد، والأمثال، والقصص، وذكر الأمور المغيبة عنا ما لو أنزل على جبل عظيم شامخ لخشع من عظمته وقوته كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ الله وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر (٢١). وكما قال تعالى عن هذا القرآن العظيم: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لله الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء الله لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ الله إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ المِيعَادَ} الرعد (٣١).

قال ابن كثير على هذه الآية: (يقول تعالى مادحًا للقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ﴾ أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال من أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورها لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنسان، والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به جاحدون له ﴿بَل لله الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أي: مرجع الأمور كلها إلى الله ـ عز وجل ـ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يهد الله فما له من مضل).اهـ.

فيا سبحان الله! قرآنٌ تسير به الجبال، أو تقطع به الأرض، أو تكلم به الموتى كيف لا يتأثر به قلبك أيها الإنسان الضعيف المسكين ؟ !

قرآنٌ لو أنزل على جبل لخشع، وتصدع من خشية الله فما بال قلبك أيها الإنسان لا يخشع، وينقاد لكلام الله، وأوامره، وزواجره، وروادعه؟!

فهل أنت أعظم من الجبال في قوتها، وصلابتها، وشموخها، وارتفاعها وهيبتها ؟

كلا ولكن الأمر كما قال، تعالى:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْـحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد (١٦).

حتى يصيروا كما قال تعالى:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة (٧٤)، عياذًا بالله من ذلك. ولذلك حث الله ـ عز وجل ـ عباده على التفكر، والتدبر لآيات هذا القرآن العظيم فقال عز من قائل عليمًا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد(٢٤). وبيّن أنه قد صرَّف فيه من كل شيء، وضرب فيه أقوى، وأفضل الأمثلة، وساق فيه أحسن القصص كما قال، تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾ الإسراء (٨٩).

فحياة القلوب في تدبر القرآن، والعمل به، وموتها في تركه وراءنا ظهريًّا، عياذًا بالله من ذلك.

كما قال، تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ الله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ الشورى (٥٢-٥٣).

وكما قال، تعالى:﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَـمَـن مَّثَلُـهُ فِي الظُّـلُمَاتِ لَيْـسَ بِخَـارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام (١٢٢).

سادسًا: أن يذكر العبد نفسه، ومن معه دائمًا الإجابة عن

سؤال مهم للغاية، بل هو أهم سؤال على الإطلاق ألا وهو من الذي خلقنا ؟ ولماذا خلقنا ؟

وعليه أن يدارس نفسه، ومن معه الإجابة عن هذين السؤالين الهامين، حتى ولو كان من أعلم الناس بإجابتيهما ؛ لأن ذلك يحيي القلب، ويذكره بحقيقة هذا الوجود، والسر، والوظيفة التي خُلِقَ لها الإنسان، وأنه ما خلق ليأكل، ويشرب، ويجمع حطام هذه الفانية والتكاثر فيها، والمفاخرة بها.

بل خلق لغاية أعظم من ذلك، ووظيفة أشرف من ذلك كله، وبأدائها ينال الإنسان عزته، وكرامته على الله، تعالى.

إنها الأمانة التي حملها الإنسان مختارًا في الوقت الذي أبت السماوات على عظمتها، وسعة خلقها، وعجائب المخلوقات التي فيها أن تحملها، وأشفقت منها، وكذلك الأرض وما عليها وما فيها من عجائب المخلوقات، وكذلك الجبال الشم الراسيات ذات الألوان المختلفة، والقوة والعظمة في الخلق [1]. نعم لقد أبوا جميعًا أن يحملوا تلك الأمانة، وأشفقوا منها، وحملها الإنسان فأصبح حاملًا للأمانة، ومستخلفًا في أرض الله ـ تعالى ـ فسخر الله له كل ما في الكون علويه وسفليه ؛ ليكون ذلك عونًا له على تحمل هذه المسئولية، وأداء تلك الأمانة كما قال تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَات وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۞ لِيُعَذِّبَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ الله عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ الله غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.الأحزاب (٧٢-٧٣). فإن في ذلك من دفع الغفلة، وإثراء الروح، وإحياء القلوب، والحث على الاستقامة ما الله تعالى به عليم.

---

(١) راجع كتابي «الإنسان والأمانة الكبرى» لمعرفة المزيد حول هذه الأمانة .

سابعًا: تذكر أنه ليس بين الله، وبين عباده صهر، ولا نسب تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأن العبد لا يكون من المكرمين إلا إذا اتبع منهج الله، وعمل على تطبيق شرعه، وتحقيق التقوى في أرضه ـ تبارك وتعالى ـ كما قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات (١٣). وقولـه تعالى:﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْـحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر.

فالكرامة، والعزة في الإيمان، والتقوى، والعمل الصالح، مع الصبر، والإقامة على ذلك، والتواصي بذلك والعمل بالإيمان ومقتضاه.

أما إذا تنكب العبد صراط الله المستقيم، فلا صهر ينفعه، ولا نسب يرفعه، ولا مال يغنيه من عذاب الله من شيء، ولا منصب، ولا فئة تعزه من دون الله ـ عز وجل ـ بل يكون أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها، بل يكون أضل من الحيوانات سبيلًا، بل يكون من شر الدواب عند الله ـ تعالى ـ كما قال، تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُون﴾الأعراف(١٧٩). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ الله الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ الأنفال (٢٢-٢٣). إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

ثامنًا: التذكر الدائم لتلك العداوة القديمة الضاربة في عمق التاريخ بين جنس بني آدم، وبين الشياطين كما قال النبي ـ ﷺ :**«لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِى الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ مَا هُوَ**

فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لاَ يَتَمَالَكُ»[١].

أي عرف أنه لن يصمد أمام ألاعيبه، ومكره، وحيله، وتزيينه، وتزييفه للحقائق، فعلينا أن نتذكر دائمًا أن هذا العدو اللدود لن يألو جهدًا، ولن يدخر وسعًا،ولا وقتًا في الكيد لبني آدم، والعمل على إضلالهم ؛ ليأخذ أكبر حظ منهم ؛ ليكونوا معه في نار جهنم ـ والعياذ بالله منها ـ بعد أن ضمن مكانه فيها أبد الآبدين، ودهر الداهرين، فهو يريد أن يكثر سواد أتباعه ؛ ليكونوا معه في تلك النار التي قال الله ـ تعالى ـ في وصفها ووصف أهلها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور ۞ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فاطر (٣٦-٣٧).

فنسأل الله العافية والسلامة منها، ومن كيد الشياطين أجمعين، فعلينا جميعا أن نعلم أن هذا العدو لا ينقطع أمله من النيل من الإنسان بالسوء، ولو بأقل القليل.

فمنذ اللحظات الأولى للإنسان في هذه الحياة يطعنه الشيطان في جنبه معلنًا بداية الحرب؛ فيستهل الطفل باكيًا إلا عيسى ابن مريم وأمه، كما قال النبي ﷺ:«**مَا مِنْ بَنِى آدَمَ مَوْلُودٌ إِلاَّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:{وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم}**، وفي رواية: « **كُلُّ بَنِى آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِى جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ ، غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِى الْحِجَابِ** »[٢]. أي طعن في المشيمة التي فيها الولد.

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس ﷺ مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.

ولذلك قال الله ـ تعالى ـ في كتابه العزيز منكرًا على عباده أن يتخذوا من هذا العدو اللدود أخًا، وصديقًا، وجليسًا، وأكيلًا، وشريبًا، وشريكًا، مع أنه أقسم أن يهلك ويضل بني آدم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

ومع هذا كله فإن البعض يتخذونه وليًّا ـ والعياذ بالله ـ من دون الله ـ تعالى ـ فقال تعالى مذكرًا بأصل تلك العداوة، وقدمها، وقوتها، وأنها ابتدأت منذ أن خلق الله تعالى آدم ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف (٥٠).

فمن أراد أن يكرم نفسه، فعليه بالتزام منهج الله، وشرعه ؛ ليكون من عباد الله المخلصين الذين لا خوف عليهم، ولا هم يحزنون ؛ فلا يستطيع الشيطان ـ عياذًا بالله ـ منه أن يناله بسوء بإذن الله، وحوله، وقوته، وتوفيقه. والله ـ تعالى ـ أعلم بعباده الشاكرين المخلصين.

ومن أراد أن يهين نفسه، فعليه أن يلقي نفسه بين أحضان عدوه اللدود الشيطان الرجيم نعوذ بالله منه، فذلك أقرب طريق وأقصره إلى جهنم والعياذ بالله منها كيف لا ؟ وقد ألقى بنفسه بين يدي أعدى أعداء الإنسان على الإطلاق فما ظنكم أن يفعل به؟

تاسعًا: وهو وإن كان من طرق الوقاية إلا أنه من أنفع طرق العلاج أيضا ألا وهو التأمل في ملكوت السماوات، والأرض وما فيها من العجائب، والمخلوقات، ومحاولة الاستفادة من كل ما حولك مما يذكرك بالله ـ عز وجل ـ وعظمته،ولقائه، وحسابه، وجنته، وناره، وإلى هذا أرشدنا الله ـ عز وجل ـ في كتابه العزيز فقال، عز من قائل عليما:﴿ولله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ

الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ والله أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الله إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ والله جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ۞ والله جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ النحل (٧٧-٨١).

وقوله تعالى:﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ فاطر(١٢-١٣).

وأمثال هذه الآيات كثيرة في كتاب الله ـ عز وجل ـ حيث لها أعظم الأثر في ترسيخ قضية الإيمان في القلوب، وإشعار الإنسان بعظمة هذا الخالق العظيم كما قال، تعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾السجدة(٧).

وقال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ الله فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لقمان (١١).

وكما قال قائلهم:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثـار مـا صـنع الـمليك
عيون من لجين شاخـصـات بأحــداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله لـيـس لـــه شـــريـك

وقول الآخر:

فواعجبًا!! كيف يعصى المليـك أم كيف يجـحـــده جاحـــــد؟!
وفي كـــل شــــيء لـــه آيـــــة تـــدل على أنـــه الـــواحـــــد

وقول الآخر:

تأمل سطور الكائنـات فإنـــــها من الملأ الأعلى إلـيك رسائـــل
وقد خُط فيها لو تأملت خطهـا ألا كـــل شيء ما خلا الله باطل

وهكذا كان هدي سلفنا الصالحين من الصحابة، والتابعين كانوا يستفيدون من كل ما حولهم بالنظر، والتفكر في عظمة الله، عز وجل، وحكمته، وإتقان وإحكام خلقه ، سبحانه وتعالى.

وأعجب من ذلك الشاعر الذي استفاد حتى من البعوضة فتأمل عظيم خلق الله فيها في دقة وإحسان وإتقان على غير مثال سابق فسبحان القائل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه (٥٠).

فانظر إلى ما قاله هذا الشاعر في انكساره بين يدي خالقه معلنًا توبته، واعتذاره لربه، مخاطبًا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو يتأمل ويصف ذلك

المخلوق الضعيف الصغير البعوضة فقال رحمه الله تعالى:

يا من يرى مد البعوض جناحها	**في ظلمة الليل البهيم الأليـــل**
ويرى نياط عروقها في نحرهــا	**والمخ في تلك العظام النحـــل**
ويرى مكان الدم من أعضائهــا	**متنقـلًا مـــن مفصل في مفصـــل**
ويرى مكان المشي من أقدامها	**وخطيطها في مشيها المستعجل**
اغفر لعبد تاب مـــن فرطـــاتــــه	**مـا كـان منـه في الزمان الأول**

ومن كان هذا شأنه قلّت غفلته، وحيي قلبه ؛ فكان قريبًا من ربه، وخالقه مشاهدًا لعظمة ربه ـ تبارك وتعالى ـ في دقيق خلقه، وعظيم صنعه سبحانه وتعالى عما يصف ويقول الظالمون علوًا كبيرًا. **فالتفكر هو ذكر القلب.**

عاشرًا: وهو وإن كان من أسباب الغفلة إلا أنه من أسباب العلاج أيضا، ألا وهو بر الوالدين والحرص على دعائهما، والبعد عما يسخطهما؛ لأن دعوتهما على الولد مستجابة.

فكم من إنسان هداه الله ببركة دعاء والديه له وكم من ابن هلك بسبب سخط والديه عليه فإن ذلك من الذنوب التي يعجل الله بها العقوبة لصاحبها في الحياة الدنيا. وأي عقوبة أكبر من الغفلة والعياذ بالله؟! كيف لا وقد جعل الله ـ عز وجل ـ بر الوالدين قرينًا للتوحيد والشكر لله عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان (١٤).

وقوله تعالى:﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لهمَا قَوْلًا كَرِيمًا

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء (٢٣-٢٤).

الحادي عشر: تذكر الموت، وفجأته، وبغتته، وأنه سينزل به، ولا ينفعه ملك، ولا سلطان، ولا أموال، ولاحصون، ولا بروج، تغني عنه شيئًا كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ النساء (٧٨). فإن تذكر ذلك من أعظم الأمور التي توقظ القلوب من غفلتها، لا سيما إذا تذكر الإنسان أن الموت ينزل في طرفات العيون، وأنه سيقبض على الحالة التي هو فيها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، والناس يموتون على ما عاشوا عليه، ويبعثون على ما ماتوا عليه، فنسأل الله ـ تعالى ـ حسن الختام ونسأله سبحانه وتعالى أن يستعملنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وإنما الأعمال بالخواتيم، كما في «صحيح البخاري» عن سهل بن سعد الساعدي، قال: نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم؛ فقال: **«من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا»** فتتبعه رجل فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال: بذبابة سيفه، فوضعه بين ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: **«إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بخواتيمها»**. ولذلك أمر النبي ﷺ بزيارة القبور فقال: **«نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا»**[(١)].

وكان ﷺ يقول لابن عمر، رضي الله عنهما: **«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث بريدة، رضي الله عنه .

أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)[١] . وقالﷺ أيضًا:«**أكثروا من ذكر هادم اللذات» وفي رواية: «هاذم اللذات»** [٢] .

فعلى العبد أن يعرف أن اليوم عمل، ولا حساب، وغدًا حساب، ولا عمل، وأنه ليس بعد الموت إلا الجنة، أو النار، وعلى العاقل أن يختار المكان.

مع معرفة أن ذكر الموت ليس معناه القعود عن العمل في هذه الدنيا، بل بالعكس، فالذين يذكرون الموت باستمرار تجدهم يستشعرون ضيق الوقت، وعدم إمهال الأجل ولا ملك الموت لهم ؛ فيبادرون في استغلال أعمارهم، وأنفاسهم، بل وجميع لحظات حياتهم في ما يعود عليهم بالنفع في دينهم، ودنياهم، مما يقربهم إلى الله زلفى ؛ فتجدهم أسعد الناس وأهدأهم بالًا، وأحسنهم حالًا، وأرضاهم نفسًا، وأطيبهم عيشًا.

فلله درهم ما أحسن حالهم، نسأل الله من فضله العظيم.

والأمر كما قال الله، عز وجل:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}النحل(٩٧). وكما قال النبيﷺ:«**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا،وَقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاه»**[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر المرفوع منه والموقوف .

(٢) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعًا وابن حبان والحاكم وصححاه وابن السكن وابن طاهر، وأعله الدارقطني بالإرسال . ورجح شيخنا سليمان العلوان إرساله .

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

الثاني عشر: طلب العلم الشرعي، والتفقه في دين الله ـ عز وجل ـ والعمل بذلك العلم، فبه ـ بإذن الله تعالى ـ ترد الفتن، ويذاد عن حمى القلب، وتفضح مكائد الشيطان، وتعرف مداخله على الإنسان؛ فيتحصن الإنسان منها بالعلم الشرعي بعد توفيق الله عز وجل، وإعانته، وتسديده.ولذلك قال أهل العلم: إن عالمًا واحدًا أشد على الشيطان من ألف عابد، ولذلك فقد ثبت في «الصحيحين» قول النبي ﷺ: **«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»** [١].

وقال النبي ﷺ:**«بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا.أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدّنْيَا»**[٢].

وكما جاء في بعض الأخبار أن الدجال يخرج في خفة من العلم، وإدبار من الناس عن طلبه وتحصيله ؛ فيتبعه عامة الناس والعياذ بالله منه، وأكبر علامة على قلة العلم يومئذ أن الناس يَصِلُونَ إلى حد شنيع من الجهل لدرجة لا يعرفون معها ـ صفات الله عز وجل ـ خالقهم ورازقهم وموجدهم من العدم ؛ فيغترون بالدجال عندما يدعي أنه رب العالمين ؛ فيصدقه الناس والعياذ بالله إلا من رحم الله منهم. أسأل الله أن يعيذنا منه ومن كل دجال.

---

(١) متفق عليه من حديث معاوية، رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

الثالث عشر: تذكر أنه

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فمن ثقلت عليه الطاعات، فعليه أن يعلم أن الجنة قد حفت بالمكاره، وأن الواجب عليه أن يُكْرِهَ نفسه على عمل الطاعات، حتى ييسر الله له لباس التقوى؛ فتطمئن نفسه لها، وتركن إلى طاعة ربها، تبارك وتعالى.

فإن من تذكر الجنة، ونعيمها، ولقاء الله، وعظمة الموقف، والحساب؛ صبر على ما لا ترتاح له النفس الأمارة بالسوء.

ومن أحب المعاصي، أو همَّ بعملها، فعليه أن يتذكر النار، وما أعد الله لأصحابها من الزقوم، والصديد، ومطارق الحديد، والملائكة الغلاظ الشداد؛ فعندها تتنغص عليه لذته، ويعلم أنه يشتري لذة لحظة من العمر، لربما أورثته حسرة، وندامة أبدية في دار حفها الله تعالى وحجبها بالشهوات كما قال النبي ﷺ:«**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمكَارِهِ. وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**»[1]. فهذا طريق الجنة وهذا طريق النار فاختر أيها العبد لنفسك ما تريد فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل.

ولا تنس أخي المسلم قوله تعالى:﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ البلد (١٠).

واعلم أنك إنما تنفع نفسك، أو تضرها وأن الله ـ تعالى ـ غني عنا وعن أعمالنا كما قال النبي ﷺ في الحديث القدسي:«**يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما. ورواه والبخاري من حديث أبي هريرة ﷺ ولكن بلفظ :"حجبت بدلا من حفت".

ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا»[١].

ولا تنس قول الشاعر:

تفنى اللذاذة ممن نـال شـهـوتها   من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سـوء مـن مغبتها   لا خير في لذة من بعدها النار

الرابع عشر: وهو من أهم الأمور وأخطرها، ألا وهو ترك الغناء وتجنب الموسيقى، فإن ذلك وإن كان من أسباب البعد عن الغفلة، وحياة الغافلين، إلا أنه كذلك من أعظم أسباب العلاج، والوقاية في آن واحد ؛ لأن الغناء، والموسيقى ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء الكلأ كما قال ابن مسعود، رضي الله عنه[٢].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر جندب بن جنادة، ﷺ .

(٢) قال شيخنا سليمان العلوان حفظه الله ورعاه:(وقد ورد موقوفاً على عبد الله بن مسعود ﷺ رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠ / ٢٢٣) من طريق غندر عن شعبة عن الحكم عن حماد عن إبراهيم قال قال عبد الله بن مسعود فذكره. ورواته ثقات ولا يضر الانقطاع بين إبراهيم وعبد الله فقد صح عن الأعمش أنه قال قلت لإبراهيم أسند لي عن ابن مسعود؟ فقال إبراهيم . إذا حدثتكم عن رجل عن عبد الله فهو الذي سمعت وإذا قلت : قال عبد الله فهو عن غير واحد عن عبد الله) رواه أبو زرعة في تاريخ دمشق وابن سعد في الطبقات. قال ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان(١-٢٤٨): (هو صحيح عن ابن مسعود من قوله). وهذا الأثر ليس هو الدليل الوحيد على تحريم الأغاني والموسيقى. فهناك أدلة كثيرة من المرفوع والموقوف تفيد تحريم الغناء المقرون بالمعازف والمزامير وقد اتفق أكثر أهل العلم على ذلك. وبالغ القاضي عياض فزعم الإجماع على كفر مستحله وفيه نظر. بيد أن فتاوى الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة على

التحريم وقد عدّه غير واحد من أهل العلم كبيرة من الكبائر. وقال الإمام مالك رحمه الله (إنما يفعله عندنا الفساق..). وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في الإغاثة(١-٢٢٨) :(ولا ينبغي لمن شمَّ رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك . فأقل ما فيه أنه من شعار الفساق وشاربي الخمور ...). وفي هذه الأزمنة امتد أمر الغناء وأدخلت عليه محسنات كثيرة فغمر المجالس والمحافل وازداد عشاقه فصار تجارة الفساق وأصبح ظاهرة في كثير من البلاد يشترك فيه الرجال والنساء فيقفون أمام الملأ في المسارح والأندية الرياضية والصالات المغلقة يغنون بالفحش والخنا ويدعون للفسوق والانحراف والرذيلة والخلاعة وأمثال ذلك من العظائم المعلوم قبحها بالفطر السليمة والعقول الصحيحة وقد قال النبي ﷺ:"ليكوننّ من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف. ولينزلنَّ أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم - يعني الفقير- لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيبيتُهُمُ الله ويضع العلمَ ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة". ذكره البخاري في صحيحه (٥٥٩٠) عن هشام بن عمّار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي حدثنا عبد الرحمن بن عَنْم الأشعري قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمع النبي ﷺ يقول. ورواه ابن حبان في صحيحه (٦٧٥٤) عن الحسين بن عبد الله القطان قال حدثنا هشام بن عمار فذكره دون آخره. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تغليق التعليق (٥ / ٢٢) وهذا حديث صحيح لا علة له ولا مطعن له وقد أعله أبو محمد بن حزم بالانقطاع بين البخاري وصدقة بن خالد، وبالاختلاف في اسم أبي مالك وهذا كما تراه قد سقته من رواية تسعة عن هشام متصلاً فيهم مثل الحسن بن سفيان وعبدان وجعفر الفريابي وهؤلاء حفاظ أثبات وأما الاختلاف في كنية الصحابي فالصحابة كلهم عدول ...). وقال الحافظ ابن رجب في نزهة الأسماع ص (٤٥) فالحديث صحيح محفوظ عن هشام بن عمار...). وفي الباب غير ذلك. والمعازف هي آلات اللهو من عود وغيره والله أعلم.اهـ. قاله: سليمان بن ناصر العلوان ٢١ / ٥ / ١٤٢١ هـ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. لقمان(٦).

ومعنى لهو الحديث هو الغناء، وآلات اللهو. قال ابن عطية: وبهذا فسر ابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، ومجاهد، وذكره أبو الفرج الجوزي عن الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والنخعي.

وقال القرطبي في «تفسيره»:(قلت:هذا أعلى ما قيل في هذه الآية، وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء. روى سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري قال: سئل عبدالله بن مسعود عن قوله، تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ فقال: الغناء والله الذي لا إله إلا هو؛ يرددها ثلاث مرات.

وعن ابن عمر أنه الغناء، وكذلك قال عكرمة وميمون بن مهران، ومكحول.

وروى شعبة، وسفيان، عن الحكم وحماد عن إبراهيم قال قال عبدالله بن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب؛ وقاله مجاهد، وزاد: إن لهو الحديث في الآية الاستماع إلى الغناء وإلى مثله من الباطل.

وقال الحسن: لهو الحديث المعازف والغناء.

وقال القاسم بن محمد: الغناء باطل والباطل في النار. وقال ابن القاسم سألت مالكًا عنه فقال: قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾يونس (٣٢) أفحق هو؟!)ا.هـ.

وقد أجمع الأئمة الأربعة على تحريمه، وأنه لا يفعله إلا الفساق، وقال

بعضهم: ترد شهادة من يسمع الغناء، وقال بعضهم لا يجوز أن يتولى الإمامة في الصلاة، لأنه فاسق.

الخامس عشر: وفي الجملة فإن كل ما كان سببًا من أسباب الغفلة المتقدم ذكرها فإن تركه، واجتنابه، والعمل بخلافه هو سبيل وطريق للنجاة، والشفاء من هذا المرض الخطير، والداء العضال المهلك الفتاك نعوذ بالله منه ونسأل الله العافية والسلامة منه إن الله على كل شيء قدير وبالإجابة جدير إنه هو البر الرحيم.

الخاتمة

معاشر المسلمين والمسلمات!

إن الليل لابد أن يعقبه النهار، وإن مع العسر يسرًا، وإن الجولة القادمة هي جولة الإسلام الممكنة في الأرض بإذن الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾

الأنبياء [١٠٥ ـ ١٠٦]

ولكن لابد لهذا الدين من رجال صادقين، ونساء صادقات؛ يحملون هَمَّ هذا الدين العظيم، ويرفعون شعاراته، ويطبقون تعاليمه على عز وشرف لا على استحياء وخجل وخوف وضعف وخور، ولكن هذا لن يتحقق حتى نصدق الله تعالى فيما عاهدناه عليه من الصدق واليقين والإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ ورفع الرأس شامخًا بذلك والعمل بجد لنصرة هذا الدين. وما أحسن ما قال الشاعر:

الفجر الباسم قادم	من قلب الليل الجاثم
وربيع الأمة آت	من بعد شتاء قاتم
بشباب صلوا الفجر	برجال باعوا العمرا
بشيوخ كانوا شعلا	بالليل تشع الفكرا
ببنات طبن صفاء	عطرا طهرا وحياء
بنساء عشن حياة	لله وكن ضياء

بصـــغـــار عـــرفـــوا الله	بالفطــرة لا بسواهـــــا
وهم الـبـشــرى للدنـيـــا	وغدًا يمحون أساهــــا
بكتاب ظـــــل دلـيـــلا	للأمة جيـلا جيـــــلا
مـــن حيرتها يهديهـــــا	ويعيد المجد أصيـــــلا

فالله الله في بذل الجهد وإفراغ الوسع؛ لنصرة دين الله ـ تبارك وتعالى ـ وأبشروا وأملوا كل خير؛ فإن إرهاصات النصر قد لاحت في الأفق القريب بإذن الله العزيز الحميد، فاعملوا ﴿فَسَيَرَى الله عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمؤْمِنُونَ﴾ التوبة [١٠٥].

تَهُون الحيــاةُ وكــلٌّ يَـهُــون	ولـكــنَّ إسْـلامَـنــا لا يَهُــون

اللهم يا عزيز يا حميد يا جبار السموات والأرض! عليك بأعداء دينك أجمعين!

اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين! وأرنا بهم ما تقر به عيون عبادك الموحدين! واجعلنا اللهم من أنصار دينك القويم وصراطك المستقيم! وقر عيوننا أجمعين بنصر مؤزرٍ للإسلام والمسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين!

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولأزواجنا وأبنائنا وإخواننا ومشائخنا وأحبابنا برحمتك يا أرحم الراحمين ويا خير الغافرين!

آمين.

هذا وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا وإياكم حسن المتابعة، والإخلاص في الأقوال، والأعمال إنه ولي ذلك والقادر عليه. وأن

يجعل ما وفقنا إليه من العلم النافع والعمل الصالح في موازين حسناتنا يوم أن نلقاه ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ، ٨٩]".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الفراغ منه في ليلة الخميس، الثامن عشر من شهر ذي الحجة لعام ألف وأربعمائة وثلاث وعشرين للهجرة النبوية المباركة على صاحبها، أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وكتبه

أبو عبد الله

صادق بن عبد الله

البريد الإلكتروني **asa ٢٦٦٣@hotmail.com**

و الله ولي التوفيق

قال العلامة ابن رجب في كتابه لطائف المعارف - (١ / ٢٢٨) :(لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها:{يا أيها العزيز مسنا و أهلنا الضر و جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل و تصدق علينا} لبرز لهم التوقيع عليها:{لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين}

(أشكو إلى الله كما قد شكى ... أولاد يعقوب إلى يوسف)

(قد مسني الضر و أنت الذي ... تعلم حالي و ترى موقفي)

(بضاعتي المزجاة محتاجة ... إلى سماح من كريم وفي)

(فقد أتى المسكين مستمطرا ... جودك فارحم ذله و اعطف)

(فاوف كيلي و تصدق على ... هذا المقل البائس الأضعف)

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة - (٢ / ٢)
:(فصل حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها إلا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة وأما أهل البدو كلهم وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب وهم أصح أبدانا وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب ولعل أعمارهم متقاربة وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء حتى أن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية فمبناها على الوحي المحض والحاجة إلى التنفس فضلا عن الطعام والشراب لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح

والقلب جملة وهلاك الأبدان وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم).ا.هـ.

الفهرست

تنفيذ طباعي: القسطاوي

جوال: ٠٠٢٠١٠١٩٩٩٥٥٥

قائمة كتب المؤلف

صدر للمؤلف :

١- التوسل المشروع وما يضاده.
٢- الاستنباطات البهية من الأدلة الشرعية.
٣- الدُّرَرُ والزُّهُور من حديث جبريل المشهور (أكثر من ٤٠٠ فائدة).
٤- المحبة الحقيقية للأزواج والذرية.
٥- الداء العضال.
٦- القول المبين في أخطاء بعض الحجاج والمعتمرين.
٧- يا أمة الإسلام الاستعلاء بالإيمان.
٨- رسائل رمضان إلى أمة القرآن.
٩- الإنسان والأمانة الكبرى.
١٠- المفاهيم والحقائق الغائبة.
١١- الجامع الثمين في أخطاء المصلين والأئمة والمؤذنين.
١٢- الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء والتيمم وغسل الجنابة والصلاة.
١٣- الهوى سر الهوان.

كتب ستصدر قريبا إن شاء الله تعالى :

١- الحقوق العَلِيَّة لخير البرية ﷺ .
٢- الإجماعات السنية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٣- إسعاف السَّؤُول في شرح ثلاثة الأصول.
٤- الطائفة البرهانية في ميزان الإسلام .
٥- الأمراض الشائعة .
٦- الكيفيات المتعددات لصفات الوضوء وغسل الجنابة والصلاة.
٧- فساد التَّصوُّر.
٨- المخرج من الفتن .

كتب تحت الإعداد :

١- تفسير جزئي عَمَّ وتبارك .
٢- شرح العقيدة الواسطية .
٣- شرح علل النسائي .
٤- ما ضَعُفَ من الأحاديث والآثار في سيرة النبي المختارﷺ.
٥- الكلمات الرَّضِيَّة في الخطب المِنبَرِيَّة .
٦- ما خالف الدليل من أخبار بني إسرائيل .
٧- الصراط المستقيم.
٨- الطريق إلى السعادة.
٩- إنهم فتية آمنوا بربهم.
١٠- موزع الحسنات.